وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

عنوان المذكرة:

الأمراض والأوبئة في الجزائر أواخر العهد العثماني (1770-1830م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث

إعداد الطالبتين:

- حمودي هدى
- مصباحي حيزية

إشراف الأستاذ:

د/ سعيد جلاوي

السنة الجامعية: 2017م-2018م

شكر وعرفان

قال تعالى : " وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين " صدق الله العظيم

الحمد والشكر أولا لمبدع الكون سبحانه وتعالى الواحد الأحد، والفرد الصمد، الذي سدد خطانا وأنار سبيلنا، ويسر لنا إتمام هذا العمل والصلاة والسلام على أفضل مبعوث للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين،

وشكرا بالغا لا تسعه الكلمات، ولا تسطره الأقلام، ولا تملأه المعاني إلى من كان في العلم خير أستاذ إلى أول شخص يستحق شكرنا إلى الدكتور الفاضل "سعيد جلاوي"، فشكرا على جميل صبرك وحسن إرشادك، فبفضل الله ثم فضلك تمكنا من قطف ثمرة سنواتنا الجامعية الخمس وأكملنا عملنا هذا.

مع شكر الجزيل للأعضاء لجنة المناقشة لتشريفهم لنا بمناقشة هذه الدراسة.

دون أن ننسى شكر كل أساتذة قسم التاريخ.

هدى + حبيبة

إهداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن وسهرت من اجلي الليالي أمي

الغالية « نصيرة» حفظها الله وأطال عمرها

إلى أغلى إنسان في الوجود أبي العزيز «لخضر» الذي لم يبخل علي

بأي شيء لكي يراني في ما أنا عليه الآن

إلى روح جدي الغالي رحمه الله واسكنه فسيح جنانه

إلى الذي اشد به وزري أخي العزيز « حليم»

إلى توأمي روحي سهام وحنان وبناته « الين وألاء»

إلى كل عائلة حمودي

إلى خطيبي كريم وكل عائلته الكريمة

دون أن أنسى صديقات الدرب دنيا، نادية، شريفة، سهام سامية

والى من قاسمتني هذا العمل صديقتي حيزية

والى كل طلاب العلم والمعرفة

هدى

إهداء

إلى من قال فيهما الرحمن « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا» سورة الإسراء الآية 24.

إلى روح والدي الغالي تغمده الله برحمته الواسعة

والى أمي أطال الله في عمرها

إلى إخوتي كريم، سعيد ، نبيل

إلى أعمامي وعماتي وأبنائهم

الخطة

مقدمة (السياق + الاشكالية)

العرض:

مدخل : الوضع السياسي الداخلي و الاقليمي المحاط بالجزائر في اواخر العهد العثماني

1 الوضع السياسي الداخلي للايالة في اواخر عهد الدايات.

2 الوضع الاقليمي المحاط بايالة الجزائر.

الفصل الاول: حالة الجزائر في اواخر العهد العثماني : لخصائص و الدلالات

1-الخصائص الاجتماعية .

2- الخصائص الاقتصادية .

3 – المميزات الثقافية .

الفصل الثاني: الامراض و الاوبئة: انواعها و تاثيراتها

1-أهم الأمراض.

2 –أنواع الأوبئة.

3 -آثارها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية .

الفصل الثالث: أليات و طرق العلاج.

1- أبرز العلاجات الشائعة بين السكان.

2 - الجهود المبذولة.

مقدمة

انضوت الجزائر تحت الحكم العثماني من 1518 إلى غاية 1830، تميزت حالتها تارة بالارتفاع وتارة بالانخفاض في فترات مختلفة وعلى مستويات عدة، ةوالمتتبع للوضع الاقتصادي والاجتماعي لهذه الايالة في الفترة السالفة الذكر يجد أن أوضاع البلاد ما بين ق16 ومطلع ق17 تكاد تكون في حالة عادية لكن ذلك الوضع لم يلبث أن بدا يتدهور مع منتصف ق 17 حيث ساءت الأوضاع الاقتصادية و أفقرت الأرياف والمدن من سكانها وتكاثرت الأمراض والأوبئة مما اثر سلبا على حياة السكان الصحية والمعيشية و ترك أثار سيئة على حياتهم الاجتماعية ، وابتداء من ق18 تضائل عدد سكان المدن وتناقص سكان الأرياف مما تسبب في ضعف في تراجع عدد التجار وقدرة الحرفيين والصناع وافتقار الأرياف الى اليد العاملة الزراعية.

ظاهرة الأمراض و الأوبئة في ايالة الجزائر في أواخر العهد العثماني هو موضوع بحثنا هذا، حيث انه في هذه الفترة يتزامن سوء الأوضاع العامة مع انتشار تلك الظاهرة.

هذا التزامن لظاهرة التدهور للحالة الاقتصادية والاجتماعية والمنظومة الصحية يشكل علاقة هامة بمثابة الحلقة المفقودة التي تثير اهتمامنا في هذا البحث وتفرض البحث في مقاربة تاريخية في لتلك العلاقة والتي نختزلها في مجموعة من التساؤلات تبحث في علاقة التأثير والتأثر بين الوضع الاقتصادي والاجتماعي والمنظومة الصحية وما نتج عنها من مختلف الأمراض والأوبئة المنتشرة في ربوع الإيالة وتأثيراتها على اختلال القطاعات و أهم الآليات الوقائية التي اتخذتها السلطة لإنقاذ البلاد.

وللرد على هذه الاستفهامات التي تسليط الضوء أساسا على نوعية الأمراض والأوبئة التي اجتاحت الجزائر في العهد العثماني وتحديد مصدرها وطرق تسربها والسياسات الصحية التي انتهجت من طرف حكام الجزائر في العهد العثماني والمبادرات التي اتخذت للحد من زحف الأمراض في شكل حزام صحي أو نظام العزل الصحي و كذا الهياكل الصحية التي كانت موجودة حينها و مدى تحسن الوضع في ما بعد اجتهدنا بكل ما نملكه من طاقة وإمكانيات لإيجاد المصادر المراجع التي ستجيب عن تلك الاستفهامات السالفة الذكر.

واعتمدنا من اجل ذلك على المصادر تختلف أهميتها بالنسبة للبحث منها اتحاف المنصفين لعثمان بن حمدان خوجة، والمذكرات احمد الشريف الزهار وتليها مصادر أخرى مدرجة في القائمة المخصصة للببليوغرافيا.

كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع اختلفت درجة استغلالها خاصة المتعلقة بدراسات و أبحاث المؤرخ نصر الدين سعيدوني و هي مذكورة في قائمة المراجع المرفقة في البحث.

وساعدتنا أيضا بعض الدراسات والأبحاث الأخرى في شكل مقالات ومذكرات ورسائل في إتمام بعض النقائص في مفاصل البحث سيما أطروحة فلة قشاعي حول الصحة والسكان في الجزائر في أواخر العهد العثماني و أطروحة الياس جيلالي حول الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية

و دائما البحث عن المصادر و المراجع في بعض الحالات ليس بالأمر الهين قد يصعب عن الطالب العثور عليها بطريقة سهلة كون تلك المصادر تتعلق بطبيعة الموضوع بحد ذاته وحجم المدة الزمنية المراد

معالجتها و يتعلق الأمر أيضا بالإمكانيات المتاحة للطالب المادية خاصة التي تعيقه عن اقتناء الكتب و تغطية نفاقات التنقل وخاصة أن المكتبات المتخصصة غير متوفرة في بلادنا نهيك عن ضيق الوقت المخصص لانجاز المذكرة.

لكن رغم كل الصعاب حاولنا بقدر ما استطعنا تجاوزها بتوفير البعض من تلك المصادر والمراجع وواستقينا منها ما يكفينا من معلومات ولتنظيمها اعتمدنا على احد المناهج التاريخية الضرورية التي تقتضيها طبيعة البحث منها استقراء المعلومات من مضانها الأصلية ووصف كل ما نحتاجه من أشكال و صور و تحليل الجداول و الإحصائيات و مقارنتها إن اقتضى الأمر.

و الخطوة الأخرى قمنا بتفصيل البحث في شكل خطة تضمنت ما يلي:

فصلا تمهيديا بمثابة مدخل لفهم الواقع السياسي لايالة الجزائر تحت عنوان: الوضع السياسي الداخلي و الاقليمي المحاط بالجزائر في أواخر العهد العثماني، حيث خصصنا الفصل الأول للتطرق إلى حالة الجزائر في اواخر العهد العثماني: من حيث الخصائص المميزة لتلك الفترة وأهم دلالاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بينما توقفنا في الفصل الموالي على لب البحث وهي مختلف الأمراض والأوبئة التي اجتاحت الايالة وأهم التأثيرات المترتبة عنها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

كما قمنا بوضع خلاصة لتلك الفصول في شكل خاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات لتلك الفصول.وذيّلنا البحث بمجموعة من الملاحق المتنوعة في شكل صور وجداول وخرائط المدعمة الموضحة لمفاصله وجرد لبعض المعطيات في شكل فهارس .

I. الوضع السياسي الداخلي والإقليمي المحاط بالجزائر أواخر العهد العثماني

1-الوضع السياسي الداخلي لإيالة الجزائر :

خضعت الجزائر للحكم العثماني ما يقارب ثلاثة قرون أي من 1518 تاريخ الاعلان الرسمي لانضمام الجزائر الى السلطة العثمانية الى غاية 1830 م تاريخ الاحتلال الفرنسي ونهاية الحكم العثماني في الجزائر حيث عاشت الجزائر اربعة مراحل متباينة الخصائص نختزلها فيما يلي :

- مرحلة البايلر بايات: 1518 م - 1588 م، والتي ابتدأت باستقرار الحكم التركي بفضل جهود الأخوين عروج وخير الدين.

- مرحلة الباشوات: 1588 م - 1659 م، التي حددت مدة حكم كل واحد منهم ثلاث سنوات.

- مرحلة الآغوات: 1659 م- 1671 م، والتي عرفت فيها الجزائر اضطرابا في نظام الحكم.

- مرحلة الدايات: 1671 م - 1830 م، وعرفت فيها الجزائر مقومات سياسية وتمتعت بالاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية. [1]

حيث عرفت السلطة العثمانية في الجزائر ضعفا كبيرا خاصة في أواخر عهد الدايات وهذا راجع إلى عدة أسباب منها انتشار الفوضى وكثرة الاغتيالات والمؤامرات داخل السلطة وأجهزة الحكم وهذا ما ميز فترة العقد الأخير من عهد الدايات الأمر الذي انعكس بالسلب على واقع المجتمع الجزائري.

ومن بين الظروف السياسية التي عرفتها إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني مايلي :

1- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون طبعة، وزارة الثقافة والسياحة، 1984، ص 14.

- إقصاء الجزائريين من الحكم والانضمام في الجيش وعدم تقلدهم لأي منصب في الإدارة العثمانية، حيث سيطر الأتراك على مقاليد كل من الإدارة وهذا من أجل الحفاظ على امتيازاتهم داخل الجزائر، ومارسوا سياسة العزلة عن السكان الأصليين. [1]

- الصراع بين الجيش الإنكشاري والرياس: اتبعت طائفة الإنكشارية سياسة التهدئة وهذا بعد انعزالهم عن تقلد مناصب السلطة في الجزائر فترة من الزمن والترقب من بعيد لاستغلال أي فرصة للظهور من جديد على الساحة السياسية ولكن ما يميز عهد الدايات أهم من طائفة رياس البحر هو توتر العلاقات مع دول أوروبا هذا ما أضعف سلطة الرياس، وكان هذا لصالح الجيش الإنكشاري، الذين تمكنوا من استرجاع نفوذهم في الحياة.[2]

- الثورات والاغتيالات: شهدت الجزائر أواخر الحكم العثماني عدة ثورات وتمردات شعبية[3] نذكر منها:

1- ثورة ابن الأحرش في الشرق الجزائري: (قسنطينة)، كان يزعم أنه من شرفاء فاس[4] كان يمارس القرصنة في جيجل، وقام بعدة عمليات ضد السفن الفرنسية التي كانت تستعمل لصيد المرجان كما تمكن من إخضاع مدينة جيجل بعد انسحاب الحامية العثمانية[5] منها وقام بشن هجوم على قسنطينة 1804 م، حيث تمكن من هزيمة الباي عصمان وقتله، ولما وصلت هذه الأخبار إلى الداي مصطفى باشا (1798 - 1805 م) أمر رجالة بالقضاء على ثورة ابن الأحرش والتخلص منه ونجحوا في القضاء على ثورته 1806 م في نواحي بجاية، وقد قتل على يد ابن الشريني الدرقاوي لما استنجد به بعد هزيمته على يد الأتراك وذلك لأن ابن الشريف كان منافس له.[6]

1- نصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800 - 1830 م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 42.

2- حنيفي هلايلي: بنية الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني، ط 1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1428 هـ / 2007 م، ص 127.

3- فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداي حسين (1818 - 1830 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010 - 2011، ص 71.

4- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 28.

5- سفيان صغيري، العلاقات الجزائري العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 - 1830 م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2001 - 2012 م، ص 151.

6- أحمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق، المهدي بوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2013، ص 43.

2- ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري (1805 - 1515 م): أظهر الزهد والصلاح وقد صدفه الناس وقاموا بنصرته فكثر أتباعه من القبائل الصحراوية[1] وتوالت عليه الهبات والعطايا وكان السكان يشكون إليه مظالم العثمانيين لهم وكان يعدهم بالفرج القريب وهذا ما شجعه لتهديد العثمانيين في الغرب الجزائري، حقق الدرقاوي انتصار على الباي العثماني بفرطاسة وهذا ما جعله يواصل مهاجمته للأتراك بوهران إلا أنه لم يستطع وهزم هزيمة شنعاء ففر معه قلة من جيشه، وخلفت هذه الثورة الكثير من الخسائر المادية والبشرية والاقتصادية حيث راح ضحيتها العديد من رجال الدين والعلماء كالكاتب ابن هطال التلمساني.[2]

الاغتيالات:

الحديث عن الوضع السياسي في الجزائر العثمانية يعتبر موضوع حساس خاصة مع بداية القرن 19 وهذا لما حمله من اضطرابات داخلية عصفت بقواعد النظام الحاكم فقد شهدت إيالة الجزائر تعاقب عدة دايات على الحكم، وقد عرفت حدوث اعتيالات في أواسطهم من أجل الوصول إلى كرسي السلطة حيث اغتيل ستة دايات من مجموع ثمان دايات وهم:

- الداي مصطفى باشا 1805 م، والداي أحمد 1808، والداي علي الغسال 1809، والداي الحاج علي 1809، والداي محمد 1814، والداي عمر آغا 1817، وعمر باشا حيث لم يتجاوز فترة حكم بعض الدايات بضعة شهور حتى إنهم كانوا يدفنون بدون إقامة المراسيم بالمقابر الواقعة خارج باب الواد.[3]

كيفية اغتيال الدايات:

1- قتل الداي مصطفى من طرف بعض العساكر وهذا في زنقة قرن الزناكي وقاموا بعد ذلك باستقدام أحمد خوجة وأدخلوه دار الإمارة.

1- عقاد سعاد: الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519 - 1830 م)، دار السلطان نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013 - 2014 م، ص 131.

2- الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 م، تح ودرا يحي بوعزيز، ج 1، دار الغرب الإسلامي، 1990 م، ص303.

3- ج. أو .هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتوني وطرابلس (1145 هـ/ 1732 م)، تر وتق وتح، نصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 40.

2- الداي أحمد خوجة: (1805 - 1808 م) لقد كانت نهاية هذا بتدبير أحد قادة الإنكشارية، وقد تمت تصفيته يوم الإثنين 15 رمضان الموافق لنوفمبر 1808م، وكان موته بقطه رأسه ومن بعد ذلك دفنه.

3- الداي علي خوجة الملقب بالغسال (1808 م) ويقال أن الداي علي خوجة ارتكب خطأ في سوء اختياره لخوجة الخيل وهذا الأخير خطط لقتله في يوم 4 مارس 1809 م، وقد قتل الداي خوجة خنقا.

4- الداي علي الحاج باشا الخزناجي: (1809 - 1815م) يقول احمد الشريف الزهار أن الداي أغمي عليه ودخل عليه وكيل الحرب وقام بذبحه، أما حمدان خوجة فروايته عكس الزهار وقد قال بأنه مات خنقا بالبخار وهو في الحمام. (1)

5- الداي محمد الخزناجي 1515 م، قتل بعد أيام من توليه الحكم ويقال أن الآغا عمر كان وراء تدبير مقتله (2)

6- الداي عمر 1815 - 1817 م: توفي يوم 8 سبتمبر 1817 م على يد الإنكشارية بعد تذمرهم من حملة اللورد اكسماوث، وقد كانت طريقة قتله كسابقيه (الخنق بالحبل). (3)

2-الوضع الاقليمي المحاط بايالة الجزائر اواخر العهد العثماني :

تعرضت إيالة الجزائر طيلة العهد العثماني إلى هجمات متكررة وغارات متعاقبة تشنها الأساطيل الأوروبية أو جيوش الأقطار المغاربية المجاورة كإيالتي تونس والمغرب الأقصى.

أ- الصراع مع إيالة تونس:

قام حمودة باشا بشن هجوم على مدينة قسنطينة عام 1808 وكان سبب هذا الهجوم أن صالح باي ضغط على حكومة حمودة باشا وفرض عليه شروط مهينة، دام الصراع إلى غاية 1817م. (4)

ب- الصراع مع المغرب الأقصى:

كانت تتحكم في علاقة الجزائر مع المغرب الأقصى عوامل خارجية من بينها علاقة الطرفين بالدولة العثمانية بعتبار أن سلاطين المغرب كانت تؤكد أن سلالتها من الأشراف وبالتالي لا يمكن ربط مصيرها بمصير الدولة

1- مصطفى بن عمار: الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671-1830)،مذكرة ماجستير ،الجزائر 2 ،2009-2010، ص ص113 -115-117-119.

2- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تح وتع، محمد الزميري، منشورات ANEP سلسلة التراث الجزائري، 2005، ص ص 149-150.

3- أحمد الشريف الزهار: **مذكرات احمد شريف الزهار (نقيب اشراف الجزائر 1168-1246 هـ/ 1754-1830م)**، تر وتح: احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974، ص 117.

4- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعيدلي: المرجع السباق، ص ص 42-43.

العثمانية، ومما زاد علاقة الطرفين عداوة قيام الجزائر ربط مصيرها في إطار التحالف الإسلامي مع الباب العالي الأمر الذي أدى إلى تحول العلاقات بين البلدين المجاورين إلى العداء تارة ونحو السلم تارة أخرى. [1]

ج- التصدي للحملات الاوروبية:

1- حملة اللورد إكسماوث 27/08/ 1816م:

هي حملة أمريكية إنجليزية على الجزائر وقد عملت إنجلترا على إرسال حملة بحرية كبيرة وقد دخلت ميناء الجزائر وألحقت به أضرار كبيرة قادها اللورد إكسماوث[2]، تحطمت الكثير من السفن الحربية، وانتهت بتوقيع معاهدة سلام يوم 30-08-1816 تنص على تسليم جميع الأسرى الأوروبين[3]، وقد قضت هذه الحملة على المؤسسة البحرية الجزائرية بغارة مفاجئة سنة 1818م. [4]

2-مؤتمر اكس لاشبيل: 20 نوفمبر 1818

كانت من أهم قراراته إلغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية بطريقة فعالة كالجزائر اقترح وضع حواجز في أقرب وقت ممكن للتقليل من الأضرار التي تلحقها القرصنة بالتجارة الأوروبية. [5]

3- الحملة الإنجليزية الثانية: 12 جويلية 1824 م

سبب هذه الحملة أن الداي حسين قرر القبض على كل من كان بالعاصمة من أبناء القبائل مجرد فعل على الثورة التي نشبت بالقبائل حيث كان هناك عدة مستخدمين قبائل يعملون في القناصل الأجنبية فأراد القنصل الإنجليزي أن يحمي مستخدميه لكن هوجم منزله وأخذ والمستخدمين بالقوة وتسبب هذا في قطع العلاقات بين البلدين، وطالب إنجلترا بالتعويض، الإهانة التي ألحقت بإنجلترا في شخص القنصل رفض الداي حسبن هذه

1- عبد القادر فلوح: العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1233-1246هـ/1818-1830م) على ضوء المكتبة الوطنية الجزائرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص العلاقات بين المشرق والمغرب، جامعة الجزائر، بوزريعة، 2009-2010م، ص 18.

2- مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، دار أسامة، الأردن، عمان، 2009م، ص 2689.

3- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 236.

4- جون وولف: الجزائر وأوروبا (1515-1830م) تح وتع، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م، ص 420.

5- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824 م) تح وتع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 323 - 324.

المطالب فقامت معركة دامت 17 يوم في عرض البحر، فخرج الإنجليز بعد أن نفذت منهم الذخيرة، فقرر الداي تعزيز المواقع الدفاعية على الميناء وتحصين كل النقط الموجودة على الساحل التي يمكن للعدو أن يدخل منها.[1]

4- الحصار البحري الفرنسي:

إن الحديث عن حيثيات الحصار البحري الفرنسي على الجزائر، فقد كان مشروعا منظما وهذا منذ أن أعطت الجزائر حق صيد المرجان لفرنسا وقد استغلت فرنسا هذا الامتياز الممنوح لها وقامت بتجاوز الشروط المنصوصة في المعاهدة وهذا لما أقاموا بها تحصينات عسكرية وتدعيم المدافع.

بالإضافة إلى أن فرنسا وعلى مدى سنوات قبل احتلالها للجزائر قامت بوضع عدة مشاريع استعمارية (كمشروع ديكارسي 1771م) مشروع (دروفتي وتيندا) وكانت آخر مشاريع فرنسا الجادة عندما قامت بالحصار البحري في 15 جوان 1827 م، والتي سبقتها ذريعة المروحة المعروفة والتي دار فيها الحديث بين الداي حسين والقنصل دوفال وهذا لأجل الديون الجزائرية على فرنسا.[2]

ويقال أن الداي حسين باشا[3]، هو المسؤول عن بداية قضية الديون وقد وقعت حادثة المروحة بتاريخ 29 أفريل من نفس السنة وقد وجهت فرنسا إنذار للداي على ما حدث إلا أنه لم يعتذر لفرنسا.[4]

فما على فرنسا سوى إعلان الحرب على الجزائر وكان ذلك 12 جوان 1827، وكان رد الجزائر إعلان الحرب أيضا بعد 3 أيام من الإعلان الفرنسي، دام الحصار 3 سنوات وانتهى بالحملة الفرنسية على الجزائر 5 جويلية 1830.[5]

1- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مدينة النهضة الجزائرية، دون طبعة، 1964 م، ص ص 267 - 268.

2- سفيان صغيري، المرجع السابق، ص ص 262 - 263.

3- حكم هذا الداي في الفترة ما بين (1791 - 1792م)، تعامل مع اليهود وقربهم إليه ويعتبر هذا الداي المتسبب والمسؤول الأول في بداية قضية الديون مع فرنسا ... إلخ، للمزيد أنظر نجوى طوبال: يهود مدينة الجزائر خلال عهد الدايات (1700-1830م)، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، منشورات سيدي نايل، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 278.

4- سفيان صغيري، المرجع السابق، ص 164.

5- فتيحة صحراوي، المرجع السابق، ص 179.

الفصل الأول: الجزائر في أواخر العهد العثماني : الخصائص و الدلالات .

1-الخصائص الاجتماعية

2-الخصائص الاقتصادية

3-المميزات الثقافية

1-الخصائص الاجتماعية

قبل دراسة التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري (أي سكان المدن والأرياف) في الجزائر علينا معرفة عدد السكان بحيث بلغ عددهم أواخر العهد العثماني ما بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف. [1]

وتذكر الكثير من المصادر الخاصة بتاريخ الجزائر أنه في سنة 1890 م، كانت أغلب إحصائياتها تقدر سكان الجزائر وضواحيها على النحو التالي:

- مدينة الجزائر العاصمة: قدر بها 30000 نسمة.
- قسنطينة: 25000 نسمة.
- وهران قدر بـ: 9000 نسمة.

بحيث كان معظم سكان الجزائر عبارة عن خليط من الأجناس بالإضافة إلى سكان الحضر الأصليين وقد امتهن أكثرهم مجال التجارة والحرف ... وغير ذلك، وقد كانت غالبية السكان في الأرياف أي ما قارب أو فاق 95 والذين اعتمدوا على الرعي البسيط واشتغلوا بمجال الزراعة. [2]

1- التركيبة السكانية للجزائريين في أواخر عهد الدايات:

لقد عرف المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني بداية من إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م-1830م، إلى غاية انهيار الحكم العثماني بالجزائر وقد ذهب الكثير من المؤرخين إلى تقسيم المجتمع إلى مجموعات معتمدين في ذلك على عنصر العرق، وقد عرفت تقسيماتهم سبع مجموعات هم: الأتراك، الكراغلة، العرب، البربر، الأندلسيين، الزنوج، وهناك من قسمها إلى مجموعات فرعية بحيث قسمت إلى ما يلي:

فمثلا الأتراك قسموا إلى غير عناصر تركية ودخلاء وانضم إلهم أمثال الصقليين والإغريق وغيرهم من الأصناف وقد كان المجتمع عبارة عن خليط من الأجناس والأعراق المختلفة[3] وبالرغم من هذا التنوع في المجتمع الجزائري فإنها كانت تتميز بالانسجام والترابط.

وقد قيل عن سكان المدن أنهم عبارة عن خليط من البربر والعرب وبقايا من الأجناس التي جاءت عن طريق الهجرات كالهجرات الأندلسية وهجرات الأتراك في ظل كنف الدول العثمانية. [4]

1- ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، الشركة و ن ت، الجزائر، 1979م، ص 41.

2- بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، ج 1، دار المعرفة (د.م.ن)، (د.ت)، ص ص 29-30.

3- أرزقي شويتام :المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830)،رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر ،2005م-2006م،ص52.

4- وليام شالر، المصدر السابق، ص 54.

ولقد كان لكل مجتمع في تكويناته السكانية عناصر وهي التي تمثلت وتشكلت في سكاني المدن والأرياف وهي كما يلي:

1-1- سكان المدن: وهي التي جمعت بين مختلف فئات المجتمع والتي تمثلت في الأقلية التركية والكراغلة وجماعة الحضر كما ضمت ذلك كل من الجالية اليهودية والدخلاء كالقناصل والتجارة.

1- الأقلية التركية: كانت هذه الطائفة منعزلة عن المجتمع متمسكة بلغتها الأصلية ومذهبها الحنفي وهي تخضع لنظام قضائي خاص ولها امتيازات فريدة من نوعها (خاصة). [1]

وقد كان تمركزهم في الحصون كحصن القصبة بالإضافة إلى أنهم تمركزوا في الحاميات الموجودة في الحواضر الكبرى كقسنطينة وهران وعنابة وغيرها، بحيث لا يزيد عددهم عن 12 ألف نسمة في الربع الأول من القرن 19 م حوالي 1825م، ومن أسباب قلة هذه الفئة هو تعرضهم إلى الكثير من الأمراض والأوبئة. [2]

2-جماعة الكراغلة: ، وتذكر عائشة غطاس في كتابها الحرق والحرفيون في مدينة الجزائر عن الكراغلة، وهذا بقولها لقد تكونت شريحتهم نتاج زواج أفراد الجيش الإنكشاري، ونساء الجزائريات وقد كان ظهورها لأول مرة في المدن ومستغانم وورقلة، بني راشد ومازونة، والمدية والقليعة وبسكرة وقسنطينة وعنابة. [3]

ومن الناحية العددية كانت طائفة الكراغلة، أمثر من طائفة الأتراك حتى أنهم من أكثر الطائفات السكانية انتشارا في كل المدن كما كان تواجدهم في كل من قسنطينة وتلمسان وغيرها في المدن ولقد شكلت هذه طائفة -الكراغلة- تهديد السلطة العثمانية بالجزائر، وهذا من حيث تمرداتهم الدائمة وخير دليل أنهم طردوا من مدينة الجزائر أثناء تمردهم خلال أواخر العشر بنيات القرن 17م[4]،ولــقد حضيت هذه الفئة ببعض الامتيازات الخاصة. [5]

1- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي (1514م-1830م) ط 2، دار الألمعية للنشر والتوزيع ، 2012 م، ص 35.

2- نصر الدين سعيدوني والمهدي بو عبدلي ،المرجع السابق ،ص ص 92 94.

3- عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م) مقاربة اجتماعية - اقتصادية، منشورة المكتبة الوطنية الجزائرية، منشوارت ANEP، ص 26.

4- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 9، ط1،الفهارس العامة ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،1998م، ص 11.

5- صالح عباد، المرجع السابق، ص ص357 358.

3-جماعة الحضر: وهي مشكلة من السكان القاطنين بالمدن ولقد كان عددهم يفوق 25000 خمسة وعشرون ألف نسمة عند مجيء الأتراك، وعند توالت الهجرات الأندلسية كانت لها تأثرات وعوامل ازدهار وتطور في العمران. (1)

بحيث تنقسم جماعة الحضر إلى قسمين هما:

- الثغريون: هم الذين أتو من مملكتين الأراغونة وبلنسية.
- المدجنون: وهم الذين خرجوا من الأندلس وغرناطة. (2)

4-المجموعات البرانية:

وهم السكان الأصليون الذين هاجروا من المدن الصغيرة إلى المدن الكبيرة وهذا قصد العمل بالجزائر مثلا. (3)

وهم كما يلي:

- **الأغواطيون:** يشتغلون عمال نظافة.
- **البسكريون:** كانوا يشتغلون بحراسة المدينة ليلا وإغلاق أبواب أحيائها، زد إلى ذلك تنظيف الشوارع وقنوات المياه.
- **القبائليون:** وهم الذين يمتهنون أشغال البناء وقد اكتسبوا المهارة في مناطقهم الجبلية.
- **بنو ميزاب:** وهم أغنى المجموعات لأنهم يسيطرون على قسم كبير من النشاطات التجارية.
- **الجالية اليهودية:** وهم الذي ترجع أصولهم إلى ما قبل الفترة الإسلامية، وهم الفارين من اضطهاد النصارى في الأندلس. (4)

وقد قدر عددهم في مدينة الجزائر عام 1634 م بـ 10 آلاف يهودي (تقدير الأب دان) وفي سنة 1725 م أي الربع الأول من القرن 18 قدر عددهم بـ 15 ألف من المجموع الكلي لليهود. (5)

- **الدخلاء:** وهي الفئة التي ضمتها جماعات الأسرى المسيحيين الذي كانوا يشتغلون في الحانات أو السجون أو الذي كانوا يشتغلون لخدمة البساتين وغيرها.

4- عبد الله شريط ومحمد المللي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، 1929، ص 147.
5- صالح عباد، المرجع السابق، ص 359.
3- عمار عمورة، ج 1، المرجع السابق، ص 251.
4- صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 359 - 360.
5- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، ج 1، المرجع السابق، ص ص 45 - 46.

وقد كان عدد هؤلاء الأسرى غير مستقر، حيث كان يختلف من فترة إلى أخرى، وهذا راجع إلى طبيعة العلاقات للجزائر بالدول الأوروبية من جهة، ومدى تفوق أسطولها في عرض البحر من جهة أخرى. [1]

حيث بدأت أهمية الأسرى المسيحيين تتناقض مطلع القرن 19 م، خاصة بعد حملة اللورد إكسماوث سنة 1816. [2]

2-1- سكان الأرياف: وهم الذين شكلوا الغالبية الساحقة لسكان إيالة الجزائر بحيث قدرت نسبة السكان فيها ما يفوق 90 % قد قدر بعض المؤرخين النسبة إلى 95% وينقسم سكان الأرياف إلى مجموعات أو فئات وهي كالآتي: [3]

1- الأجواد: هم الذين فرضوا سيطرتهم على منطقة من مناطق القوة ويطلق عليهم لقب النبلاء ويعني الفرسان، وقد اعترف الأتراك بنفوذ هؤلاء الفئة. [4]

وقد كان قادة الأجواد أسياد في مناطق نفوذهم يجبون الضرائب ويجمعون الغنائم وهذا دون تدخل السلطة المركزية والمتمثلة في الأتراك العثمانيين. [5].

2- قبائل المخزن: هي قبائل إدارية موالية للسلطة لها صبغة فلاحية عسكرية ولقد كانت هذه القبائل قبائل متناثرة ومعناه قبائل الحراكته في الشرق وعمراوة في بلاد القبائل وهي كانت قبائل تقوم على أساس الدم أو القرابة وتكمن أهمية هذه القبائل في استخلاص الضرائب ومعاقبة المتمردين على عدم دفعهم الضرائب.

3- قبائل الرعية: هي تتألف من القبائل الخاضعة بصفة مباشرة للبايلك وتكون إقامة هذه القبائل في الدواوير والمداشر المنتشرة في الجهات التي تكون مهمتها استخلاص الضرائب من هاته القبائل وقد تعرضت هذه القبائل إلى الاضطهاد والإكراه وهذا من طرق فرسان المخزن ورجال البايلك. [6]

4- المرابطون: لقد أحصي عدد العائلات المرابطة والتي بلغ عددها حوالي 115 عائلة مرابطة سنة 1880م، وهذا حسب لويس رين (Luis rin) وقد زادت الطرق الصوفية عدد خلال الحكم العثماني في الجزائر فبعد القادرية والشاذلية ظهرت مجموعة من الطرق الأخرى وهي التيجانية والرحمانية وغيرها، وتكمن قوة هؤلاء المرابطين

1- أرزقي شويتام: المرجع السابق ، ص 219.

2- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 45 - 46.

3- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، ج 1، المرجع السابق، ص 253.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 9، المرجع السابق، ص 8.

5- صالح عباد ، المرجع السابق، ص 363.

6- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 105-107.

في مكانتهم الدينية، وكانوا يحضون بالإحترام عند الناس، وعند الحديث عن علاقتهم بالسلطة العثمانية نفسها فقد استعانت بهم في نقل الأموال في الطرقات الغير آمنة مثلا: المقراني كان مرابطا في جيجل، كلف بنقل أجرة رواتب الجنود من قسنطينة إلى مدينته. (1)

3-1- مميزات سكان المدن والأرياف:

يختلف لكل من سكان المدن والأرياف عن بعضهم البعض ولكل الفئتين مميزات خاصة نستعرضها في النقاط التالية.

- تميز الوضع الاجتماعي في الجزائر العثمانية بقلة سكان الحضر وارتفاع نسبة سكان الأرياف فسكان المدن حسب الروايات حوالي 5% من مجموع السكان فسكان المدن حتى في توزيعهم عبر أنحاء الوطن يختلفون ونلاحظ كذلك ذلك الاختلاف في سكان الأرياف.

- اتخذ المجتمع الجزائري في العهد العثماني ترتيب هرمي وهذا من حيث الامتيازات والمكانة الاجتماعية وعلى سبيل المثال، كان على رأس الهرم لسكاني الأقلية التركية التي كانت تحضى بامتيازات عديدة زد إلى ذلك الكراغلة الذين كانوا يحتلون المرتبة الثانية في الهرم السكاني، وقد أسندت لهم المناصب متوسطة الأهمية.

ثم تأتي طبقة الحضر بعد الكراغلة الذين تولوا المناصب الدينية والتعليمية واشتغلوا المهن والحرف المختلفة بالإضافة إلى جماعة البرانية التي حرمت الامتيازات رغم قيامها بالأعمال الشاقة. (2)

أما سكان الأرياف فوضعيتهم لا تختلف عن وضعية سكان المدن فبعدها كانت تعتمد على الأصول العرقية في تصنيف القبائل، أضحى التصنيف الجديد يعتمد أساسا على علاقة سكان القبائل، ويصف ابن سحنون هذه السياسة بقوله (وضربوا عليهم البحوث تخرج عليهم من كل سنة أواسط أفريل إلى عمال الجباية فمنها من يرجع إلى الجزائر ومنها من يرجع إليها بعد سنة) فقد كانوا سكان الأرياف يصنفون في الأرياف حسب خضوعهم للحكم التركي. (3)

- وقد عمل الحكام الأتراك في الجزائر على الحد والمنع من انتقال السكان من منطقة لأخرى دون اعتبار لتزايدهم أو لحاجتهم للأراضي الزراعية فقبائل المخزن التي تكونت من عشائر عدة تمركزت في الأراضي الخصبة، أما قبائل الرعية فمهمتها تربية المواشي بالأراضي التابعة للبايلك والانشغال أيضا بالفلاحة ونتاج هذه السياسة المنهجة من

1- صالح عباد: المرجع السابق، ص 363.
2- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السبق، ص 112.
3- أحمد ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 46.

طرف الحكام العثمانيين، لم يحدث أي انتقال سكاني باستثناء جهات التيطري الجنوبية ومناطق الهضاب العليا، حيث هاجرت إليه القبائل الجبلية والسبب هو الصراع العشائري، ولقد تركت أراضي غير خصبة تحت تصرف رؤسائها المحليين (المرابطين والشيوخ) يتصرفون فيها حسب تقاليدهم المعتادة، وأساليبهم الإقطاعية. [1]

4-1- النمط المعيشي للسكان:

لقد تميزت الحياة الاجتماعية لسكان الجزائر بنمط خاص وهذا في أواخر عهد الدايات من حيث طريقة العيش التي ميزتهم وطغت عليهم العادات والتقاليد التي تجسدت في الغذاء واللباس واللغة بالإضافة إلى تقاليد أخرى. [2]

1- اللباس: لقد تميز سكان شمال سكان إفريقيا يلبسهم، ثوب فضفاض عريض متصلة جوانبه بأكمام وقد كان يدعى في الجزائر البرنوس. [3]

وقد تيمز لباس الرجال الأغنياء بالسراويل المطرزة فضفاضة، بالإضافة إلى لبسهم الشاش، أو الشاشية الحمراء وإلى ذلك فاليهود باعتبارهم فئة من الفئات المكونة للمجتمع الجزائري فكان لباسهم بسيط وكان عبارة عن قسمين من السكان. [4]

2- اللغة: لقد كانت اللغة الرسمية هي اللغة العثمانية وهي اللغة المتحدث بها في اليونان وهذا ما أدى بالمجتمع الجزائر للتأثر بها. [5]

ولقد كانت اللغة العربية شائعة الاستعمال والتي تجمع العرب، بالإضافة إلى اللغات الأخرى كالإسبانية والإيطالية والتركية نظرا لتعامل الجزائريين مع التجار الأوروبيين. [6]

أما فيما يخص المسكن في الجزائر نجد أنه كان يخضع لعوامل متعددة منها الجغرافية والاقتصادية مما أدى إلى تميزه من منطقة إلى أخرى حيث كان الأتراك يقطنون ي منازل جبلية عبارة عن (جنان) كما أن القناصل كانوا يختارون السكنات الجبلية القريبة من المدينة. [7]

كما أورد حمدان خوجة بأن المنازل في القرى الصغيرة تبنى من الأخشاب والقصب يربط بعضها ببعض كما تفرش الأرضية بمادة البناء ويستعمل كذلك الطين في عملية البناء.

1- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 113.
2- وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبد القادر زيايدية، ش و ن ت، الجزائر، 1980، ص 86.
3- البرنوس: نوع من المعاطف ذات قبعة ... للمزيد أنظر: أحمد السليماني، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، 2007 م، ص 75.
4- أحمد السليماني: المرجع السابق، ص 75.
5- وليام سبنسر، المصدر السابق، ص 113.
6- أحمد باي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تق وتر: محمد العربي الزبيدي، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982 م، ص 81.
7- عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر خاصة ما قبل التاريخ وإلى 1962، ج 2، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، ص 192.

3- الطعام: (الغذاء) لقد كانت تتميز الجزائر بأنواع عدة من الأطعمة من لحوم وأسماك فسكان المدن اقتصر طعامهم على السمك. [1]

إضافة إلى الكسكس الذي كان الطبق الشعبي المشهور والذي كان يفتل بشكل حبات صغيرة ويقدم بالخضر إضافة إلى أن المجتمع الجزائري كان يتميز أيضا باستهلاك لحم البقر ولحم الثور المجفف بشكل كبير. [2]

4- العادات والتقاليد: مارس سكان الجزائر كغيرهم من سكان الإيالات المغاربية عادات وتقاليد مختلفة وكثيرة كحفلات الخطبة والزواج والاستقبال وتوديع الحجاج إضافة إلى مناسبات دينية كشهر رمضان الذي تقام فيه عادات مميزة كختم القرآن في المساجد وإضاءة الشموع وعادتهم في عيد الفطر حيث يقوم السكان بالاحتفال ويرتدون أجمل الثياب المطروزة من الذهب.

2-الخصائص الاقتصادية :

عند دراستنا لأوجه النشاط الاقتصادي للجزائر العثمانية نجد أن الطابع الزراعي والرعوي هو الذي تمركز أساسا في الأرياف وأطراف المدن. [3]

وعند دراستنا للوضع الاقتصادي في الجزائر العثمانية نلاحظ تطور ملحوظ وهو ما كانت له ميزات خاصة وهذا عند استعراض مختلف الحرف الصناعية والمنتوجات الزراعية تميزت غالبا في كل منطقة إما بالازدهار أو الانكماش وهذا ما عرف بالنشاط الاقتصادي في الجزائر. [4]

1- الزراعة والإنتاج الزراعي:

لقد عرفت الزراعة وإنتاجها تطورا ملحوظا في إيالة الجزائر بالإضافة إلى أن المجتمع الجزائري في العهد العثماني كان مجتمعا فلاحيا حسب تقدير المؤرخين حيث كان غالبية السكان يسكنون الأرياف بحيث قدرت نسبتهم ما بين 90 95 % وهذا الرقم دليل واضح على أن النشاط الأساسي الذي كان سائدا هو الزراعة كما كانت الطرق المتعبة في هي طرق تقليدية[5]، بالإضافة إلى أن كل منطقة من المناطق بالجزائر كانت تختص بمنتوج معين أو خاص خاص وهذا نظرا لاختلاف المناخ فسكان منطقة السهوب القريبة من المدن اهتمامها الكبير زراعة وإنتاج العنب

1- وليام شالر، المصدر السابق، ص 88.

2- الحاج معمر إبراهيم، التركيبة السكانية في الجزائر خلال العهد العثماني، الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية التركية، كلية العلوم الانسانية، جامعة بسكرة، يوم 18 - 19 فيفري 2014، ص 18.

3- محمد مكحلي، المرجع السابق، ص 2.

4- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 49.

5- خالد بالعربي: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (دراسات وأبحاث)، ط 1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، 2010، ص 35.

بالإضافة إلى زيت الزيتون والتين[1]، وقد كانت زراعة الأشجار المثمرة لها أصناف كالخضر والبقول وغيرها في كل من الشمال القسنطيني ومنحدرات جرجرة والأوراس وغيرها. [2]

وقد توفرت الجزائر في العهد العثماني على إنتاج محاصيل كثيرة ومتعددة منها:

1- الحبوب:

وتختلف توعيتها من جهة لأخرى وهما نوعان القمح الصلب والقمح اللين ومناطق زراعتها تكون في الأطلس التلي والهضاب الداخلية[3]، ونظرا لأهميتها ولكونها المادة الرئيسية سواء للاستهلاك المحلي أو للتصدير الخارجي، فقد عملت الدولة جاهدة للسيطرة على المساحات المزروعة بالحبوب وقد كانت زراعة الحبوب منتشرة أيضا في كل من جهات غريس ومستغانم وتلمسان وقسنطينة، ولقد قدرت مساحات أراضي الحبوب في الجهة الشرقية من البلاد أواخر العهد العثماني بما يعادل 4800 جابدة والجهة الغربية 3500 جابدة [4]، ومساحة الجابدة الواحدة تقدر بـ 8 و10 هكتارات. [5]

2- الأشجار المثمرة: كالزيتون الذي احتل المرتبة الثانية بعد الحبوب في استهلاك السكان له وهو ينتج في مختلف مناطق البلاد الجزائرية وبالأخص مناطق بلاد القبائل القريبة من العاصمة. [6]

3- الخضر والبقول: وهي التي شملت أنواع عدة كالجزر والبطاطا والبصل والبسباس والفول السوداني والثوم .إلخ.

وتكون فلاحتها غالبا في البساتين المسقية على الساحل بالإضافة إلى المناطق الجبلية والداخلية والواحات الصحراوية ذات الموارد المائية الكافية للسقي. [7]

1- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1515-1830م) ط 2، دار هومة، الجزائر، 2007، ص ص 335 - 336.

2- نصر الدين سعيدوني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولاية المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) القرن 10هـ-14هـ/16م-19م، قسم التاريخ، كلية الأدب، جامعة الكويت، حوليات الأدب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، 1431هـ/2010م، ص 28.

3- نصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 54.

4- الجابدة، جمعها جابدات أو زوبجات، وهي عبارة عن مساحة أرض يمكن أن يحرثها ثوران وعادة ما تتراوح مساحتها بين 8 و 10 هكتارات ... للمزيد أنظر: نصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر، المرجع السابق، ص 88.

5- يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 517.

6- المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة والأسعار والمداخيل، ج 1، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 2009، ص 96.

7- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 518 - 519.

2-1- العوامل المؤثرة في الإنتاج الزراعي:

بالرغم من تنوع المحاصيل فإن الزراعة في الجزائر أواخر عهد الايات كانت تعاني من عدة صعوبات ومشاكل أعاقت من ازدهارها وتطورها وتكمن هذه الصعوبات في الأسباب والعوامل التالية: [1]

- تعرض البلاد الجزائرية لمجاعات عدة بسبب الجفاف الذي كان مصحوب بالجراد والأوبئة في معظم الأوقات.

- إتلاف المزروعات بالإضافة إلى قساوة الطبيعة وكذلك الأسباب والوسائل القديمة المتبعة التي أضعفت من الإنتاج.

- الظروف الصعبة المعاشة من طرف الفلاح الجزائري والذي غالبا ما كان مهددا من طرف قبائل المخزن ضف إلى كل هذا الظروف التي دفعت بكثير من الفلاحين للتخلي عن الأرض وتفضيلهم تربية المواشي. [2]

- السياسة الضريبية المنتهجة من طرف الدولة نتيجة ضعف وانخفاض مداخيل البلاد الواردة من القطاعات الاقتصادية الأخرى حيث قامت الدولة برفع قيمة الضرائب على القطاع الفلاحي[3]، اعتقاد منها أن هذا الإجراء الإجراء يعوض لها ما فقدته من موارد.

- تخلي الفلاحين عن النشاط الزراعي بسبب إضعاف المبالغ الضريبية مما جعلهم يلجؤون للجبال والصحاري للفرار من جباة الضرائب. [4]

2- الصناعة وأنواعها:

عند الحديث عن النشاط الصناعي في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداياته، نجد بأنه لم يكن على درج عالية من الرقي لأنه كان الاعتماد الكلي على الاستعمال اليدوي وقد كانت ترتكز على الصناعات المحلية اليدوية البسيطة[5]، بحيث كان النشاط الصناعي يشمل أغلب المهن التقليدية والحرف اليدوية وهذا حسب نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي. [6]

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962 م، ط 1، در الغرب الإسلامي، بيروت، 1976 م، ص 63.

2- نصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر، المرجع سابق، ص 33.

3- أرزقي شويتام: ،المرجع السابق ، ص 219.

4- وليام شالر: المصدر السابق، ص 59.

5- توفيق حماني: النظام الضريبي بباياليك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1193هـ/ 1779-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2003-2004م، ص 16.

6- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: المرجع لسابق، ص 61.

والمقصود بالصناعة التقليدية المتمثلة في الحرف الممارسة في مختلف أنحاء إيالة الجزائر وقد كانت مقسمة إلى هيئات وكل هيئة تتولى صناعة نوع محدد من الأدوات والملابس وقد كانت أشهر الصناعات في الجزائر نسيج الزرابي في كل من قسنطينة وتلمسان ومهنة التطريز للملابس في العاصمة، وقد توجد العديد من المصانع التي خصت بصناعة الشواشي الصوفية والتي كانت يباع بأزهد الأثمان وغيرها من المصنوعات الجلدية مثل الأحذية ... إلخ. (1)

كما أن انتشار الصناعة بين السكان كل من قبيلتي بنوعباس وبنو فليسة الذين اشتهروا بصناعة البنادق المحلية والسيوف بالإضافة إلى استخراج خامات الحديد ومناجم الرصاص وملح البارود(2)، كما ،أنه لم يكن هناك مناجم بالمعنى الحقيقي ولكننا نجد صناعة الحديد وبعض مستخرجاته كما نجدد أيضا صناعة الملح في منطقة أرزيو. (3)

1-2- أنواع الصناعات:

يمكن حصر أغلب الصناعات الجزائرية في العهد العثماني على النشاطات التالية وهي:

1- صناعة الأسلحة: وهي التي تمثلت في صناعة البنادق وتحضير البارود وسك المدافع وكانت هذه الصناعة تقام في المدن الكبرى وقلعة بني راشد وقسنطينة ولقد كانت صناعة البارود لها أهمية كبيرة وهذا نظرا لامتهان الجزائريين لها. (4)

2- صناعة السفن: وقد شجع على صناعتها نشاط البحرية الجزائرية بالإضافة إلى تطور عمليات الغزو البحري، إذ كانت أغلب المراسي الجزائرية تتوفر على ترسانات مجهزة لصنع القوارب والسفن حيث تم صنع سفن تتجاوز حمولتها 300 طن وهي نوع من الفرقطات. (5)

3- صناعة الجلود: كانت من أهمها صناعة الأحذية بقسنطينة والجزائر وتلمسان (الحواضر الكبرى) ومستغانم ومازونة(6)، ولقد كانت قسنطينة من أهم المراكز التي تحتوي صناعة الجلود في العهد العثماني حيث عند دخول

1- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 61.
2- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص ص 28 - 29.
3- أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 153.
4- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: المرجع السابق ص 65.
5- نفسه ،ص66.
6- محمد بن مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 315.

الفرنسيين للجزائر وجدوا 33 معمل لدباغة الجلود و 75 لصناعة السروج، و167 خاص لصناعة الأحذية والتي قدرت نسبة اليد العاملة بهذه المصانع أكثر من 15 %.[1]

4- صناعة الشاشية والتطريز: لقد انتشرت هذه الصناعة بمدينة الجزائر وازدهرت الشاشية الجزائرية الحمراء وهذا نظرا لاعتناء العائلات الأندلسية بها[2]. وجد عدد كبير من المصانع الخاصة بهذه الصناعة وكانت تباع بأثمان زهيدة بالإضافة إلى محازم الحريرية المذهبة [3]، وغيرها من الصناعات الأخرى، كالصناعة النسيجية وصناعة الصابون. [4]

5- الصناعة التحويلية: هي التي تتعلق بتحضير موارد البناء وتذويب المعادن والتي تشمل الزنك والفضة والحديد وهي منتشرة بالمدن الكبرى بالإضافة إلى صناعة العملة.

6- الصناعة الغذائية: والتي تتوزع على مطاحن الدقيق وأفران الخبز وقد تميزت مدينة الجزائر بهذا النوع من الصناعات وقد احتوت على العديد من الأفران والمطاحن[5]، وقد كانت هذه المطاحن تسير بالهواء والماء. [6]

2-2- العوامل المؤثرة في النشاط الصناعي:

على الرغم من تنوع الصناعات في الجزائر أثناء الحكم العثماني وممارسة المجتمع الجزائر العديد من الجرف إلا أنها كانت عاني من العديد من الصعوبات، حيث أننا نجد أنه مهما بلغت درجة التحكم في الصناعات المختلفة إلا أن إنتاج بعضها لم يكن يلبي احتياجات السكان فلهذا اضطرت الدولة إلى الاستيراد من الخارج لبعض المنتوجات النسيجية والحديدية.

وتعود أسباب عدم تطور الصناعة وازدهارها وهذا باحتفاظها على طابعها التقليدي وعدم محاولة تطوير وسائلها الإنتاجية[7]، بل والأكثر من هذا هو ندرة بعضها بحيث بعض الصنائع كانت قليلة جدا مثل بيع الساعات وإصلاحها، كما لم يذكر إسهام العناصر الحضرية في الصنائع الراقية كالصياغة وصناعة الجواهر ورغم وجود سوق عرف بسوق الصياغة ومن الصنائع التي تبدوا نادرة صناعة الفنارات رغم استعمالها الواسع. [8]

1- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 62.
2- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: المرجع السابق ص 69.
3- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 61.
4- نصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: المرجع السابق ص ص 68 - 70.
5- نفسه ،ص 67.
6- محمد مبارك الميلي: المرجع السابق، ص 315.
7- نصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص 37.
8- عائشة غطاس: المرجع السابق ، ص ص 231 - 232.

كما تعود عوامل عدم تطور الصناعة إلى منافسة الصناعة الأوروبية التي دخلت مبكرا طور الإنتاج الآلي مما جعل أسعارها منخفضة وإلى دور الدولة الذي لم يكن يشجع على هذا التطور.

كما أن الصناعة تعرضت هي الأخرى إلى نفس العوامل التي عرقلت القطاع الزراعي وكان لتدهور هذا القطاع انعكاسات وآثار سلبية على القطاع الصناعي بحد ذاته، فكلما قل الإنتاج الزراعي ارتفعت أسعار المواد الخام مما جعل الصناع يعانون من صعوبة الحصول على الموارد الضرورية لصناعتهم فكانوا يضطرون لدفع مبالغ مالية ضخمة قصد الشراء المواد القليلة في الأسواق وقد تسبب ذلك في ارتفاع أسعار المصنوعات لقلة الإنتاج وارتفاع وغلاء خاماتها بالإضافة إلى زيادة الضرائب الباهظة التي كان يدفعها الصناع على منتوجاتهم الصناعية.[1]

كما تذكر العديد من المصادر أن أمناء المهن في مدينة الجزائر كانوا يدفعون لشيخ البلد ضريبة سنوية قدرها ستة آلاف ريال درهما أي ما يعادل مائة وخمسة وعشرين ريالا في الأسبوع وكان ذلك في مطلع القرن 18 م، أما في أواخر القرن المذكور فإن قيمة الضريبة كانت تقدر بسبعمائة ريال درهم في الأسبوع بحيث ترجع أسباب ارتفاع قيمة الضرائب إلى السياسة الصارمة للإدارة في جمع الضرائب ولم يكن ذلك مقصورا على المهن فقط بل شمل جميع القطاعات الاقتصادية الأخرى وكانت تلك السياسة من الأسباب التي أدت إلى تدهور الأوضاع العامة في البلاد بما في ذلك العلاقات العامة بين الإدارة والرعية كما يمكن أن ترجع سبب ضعف الصناعة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني باستيراد المصنوعات الأجنبية التي كانت تنافس مثيلتها المحلية.[2]

3- المميزات الثقافية:

غلب على الوضع الثقافي في الجزائر أواخر العهد العثماني الطابع الديني فانصب اهتمام العلماء على الفقه والتفسير والحديث، كما تميّز كذلك بتقلص الحياة العلمية وعدم الاهتمام بالعلماء، وهذا ما جعل الراغبين في العلم إلى الهجرة نحو المشرق، وانتشرت البدع والخرافات وتعددت الطرق الصوفية.

ونتج هذا الضعف التعليمي بكامل الجزائر، وفي هذا الصدد يقول الدكتور "شو" (Dr, Shaw): أن الحياة الفكرية ما زالت كما هي عليه من زمن طويل، فالرياضيات والفلسفة والعلوم الطبيعية التي عرف بها العرب قديما أصبحت الآن من العلوم التي لا يعرف عنها أي شيء.[3]

1- نصر الدين سعيدوني: النظام المالي، المرجع السابق، ص 37.

2- أرزقي شوتيام: المرجع السابق، ص 230.

3- شدري معمر رشيدة: العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص ص 33 -34.

ومن العلماء الذين هاجروا نحو المشرق وحظوا بمكانة مرموقة عبد القادر محمد الراشدي تولى رواق المغاربة بالأزهر، ومن أشهر تلاميذه أبو العباس المغربي (1787) هو أيضا قام بتدريس المغاربة في رواقهم[1]، أيضا العالم محمد بن حسين الجزائري (1187 هـ / 1733 م) درس بالأزهر صحيح البخاري. [2]

ون أبرز المراكز العلمية التي تولت نشر التعليم في الجزائر والتي تميزت بكثرتها خاصة أواخر العهد العثماني:

1- المساجد: لقد كانت بعض المساجد قابعة لزوايا معينة كما أن بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة، فالجوامع والمساجد كانت للعبادة والتعليم ومراكز لتلقين الآذان[3] واستقبال المريدين فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد فهو الذي يؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة والعيدين والجوامع والمساجد في أغلب الأحيان غير تنسب إلى الأولياء الصالحين بل هي منسوبة إلى مؤسسيها من السياسيين والتجار والعسكريين وهناك جوامع تنسب إلى الأحياء الواقعة فيها مثل جامع باب الجزيرة وجامع سوفا الغزل بقسنطينة، وأغلب المدن الجزائرية كانت تشمل على مساجد يطلق عليها اسم الجامع الكبير. [4]

والعناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم فلا تكاد تجد حي أو مدينة من دون مسجد فقد كان ملتقى العبادة ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية.

وكان المسجد أيضا هو الرابطة بين أهل القرية والمدينة أو الحي لأنهم يشتركون جميعا في بنائه، كما كانوا جميعا يشتركون في الوظائف فكان الغني المحسن هو الذي يقوم ببناء المساجد عملا فرديا فالغني المحسن هو الذي يقود عملية البناء والصيانة عكس الدولة لم تكن مسؤولة على بناء المساجد فلا تجد أحد من الباشوات يقوم ببناء المساجد فإنما يبنيه بماله الخاص وهذا دليل على واجبه الديني وليس واجبه السياسي. [5]

ولقد اختلفت الإحصاءات عن عدد المساجد في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني حيث ذكرت جل المصادر المدن الرئيسة ومساجدها كمدينة الجزائر الجامع الكبير وهو واسع إمامه مالكي.

1- الجبروتي عبد الرحمان، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، صححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج 2، ص 44.
2- شدري معمر رشيدة: المرجع السابق، ص 38.
3- بوعزيز يحي، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19 و 20م، الثقافة، عدد 63، 1981، ص 15.
4- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 73.
5- التمقروتي: النفحة المسكية في السفارة التركية، الطبعة الحجرية، ص 235.

كما يذكر هايدو الإسباني حوالي 100 مسجد منها سبعة رئيسية و في بداية القرن 19م/13هـ يذكر بانانتي الإيطالي أن هذه المدينة كانت تضم 9 جوامع وخمسين مسجد ويذكر بعض المصادر أنه كان بها عشية الاحتلال 13 جامعا كبيرا و 109 مساجد. (1)

2- الزوايا والرباطات:

ومن أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني فكانوا المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا مؤثرين العزلة والعبادة وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين والعامة مبادئ الدين، وأيضا إذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركز يستقبل فيه الزوار والعزباء والأتباع ويعلم الطلبة ويتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويثرى ويتضاعف قضاؤه ومريدوه ويصبح اسم المتوصف(2) المرابط ويصبح المكان يدعى على اسم زاوية سيدي فلان ورباطه بحيث إذ مات يدفن في الزاوية أو في الرباط ويرث الأبناء مكانه وعمله وكانت كل مدينة محروسة بولي من الأولياء الذي يحميها من العين والغارات والنكبات فهناك صلحاء تلمسان ومدينة الجزائر وقسنطينة وتلمسان.

ولقد كانت مدينة الجزائر تعج بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء الصالحين فالإضافة إلى زاوية وضريح عبد الرحمن الثعالبي و زواية الولي داده وزاوية عبد القادر الجيلاني.

كما كانت للعائلات الكبيرة زوايا خاصة بها مثل زاوية أولاد فلون وزاوية نعمون وزاوية أولاد جلول وكانت هناك زوايا خاصة بالأتراك والكراغلة مثل زاوية رضوان خوجة. (3)

ولقد لعبت الزاوية في الريف دور أكثر إيجابية من الزاوية في المدينة ففي بداية العهد المدروس كانت الزاوية عبارة عن مراكز تعليمية بالإضافة إلى دورها الديني كزاوية خنقة سيدي ناجي، وزاوية محمد بن علي المحاجي، فالزاوية القشاشية قد تحولت تدريجيا إلى مدرسة عليا أو معهد.

وهناك زاوية منسوبة إلى الجماعة مثل زاوية الأشراف وزاوية الأندلسي اللتين أشرنا إليهم وكانت الزاوية تجمع بين هندسة المسجد والمنزل وهي في قصيرة الحيطان منخفضة القباب قليلة النوافذ.

1- أبو القاسم سعد الله الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 252.

2- نفسه ، ص ص 260- 263.

3 - Salhi (M.B)، Confories religieuses et champs religieuses grand kabyle au milieu d XX^{eme} siecle, la rahamanyye in ANNA fr, NN° 33, 1994, P 258.تاريخ :

ومن مميزات الزوايا والأضرحة كانت ملجأ للهاربين من العقاب والقتل بحيث لم يكن يلحق بهم أحد. [1]

3- المدارس والمعاهد العليا:

لم يكن في الجزائر كلها سوى جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه، فقد خلت الجزائر العثمانية من مؤسسات للتعليم العالي ولم تكن في الجزائر جامعة كالأزهر والقرويين والزيتونة.

ومهما كان الأمر فقد كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية حتى كان لا يخلوا منا حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف بل إنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية وهذا ما جعل جميع الزوار ينبهرون من كثرة المدارس وانتشار التعليم بها وندرة الأمية بين السكان[2]، وقدرن بـ 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذ. [3]

المدسة المحمدية: التي أشار إليها أبو راس هي التي أسسها الباي محمد الكبير فاتح وهران والتي تحمل اسمه حيث بناها بجانب الجامع الأعظم حيث قال فيها ابن سحنون بأن العلم كاد أن ينفجر من جوانبها، ولكن بعد انتقال السلطة من معسكر إلى وهران انتقل المدرسون والاهتمام بالمدرسة أيضا وسرعان ما توفي الباي محمد الكبير مما أدى لعدم وجود نخبة من العلماء أو حتى بعض المشاهير منهم، ويذكر الشيخ البوعبدلي أن الباي قد عين لها مدرسين هم "محمد بوجلال (أو الجلالي) والطاهر بن حوا ومحمد المصطفى بن زرفة الدحاوي.

المدرسة القشاشية: وهي منسوبة إلى جامع القشاش ولها أستاذ مكلف بتدريس الشريعة الإسلامية والتوحيد بالإضافة إلى عشرة أساتذة لتدريس مختلف العلوم الأخرى واستمرت في تدعيم التعليم الثانوي والعالي في مدينة الجزائر. [4]

مدرسة الأندلسيين ومدرسة شيخ البلاد:

ولقد كانت قسنطينة من أكثر المدن عناية بالمؤسسات العلمية وذلك لاستقرارها السياسي نسبيا ولقربها من تونس ونود أن ننوه هنا بالمدرسة الكتانية التي أنشأها صالح باي والتي خصص لها ثلاثين ريالا والطالب الداخلي يأخذ ستة ريالات وكان لهذه المدرسة، التي تنشر تعليما في مستوى الثانوي والعالي، نظام داخلي دقيق يضبط

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 269.

2- نفسه ص 273.

3 -abid Larbi, La pratique médicale ne Algérie, éditions ANEP, 2008, P 130.

4- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 285-286.

أوقات التدريس والتغيبات وعدد أحزاب القرآن المتلوة كل يوم وشروط الإقامة في المدرسة وتم مقارنتها بالمدارس الفرنية العليا. [1]

4-المكتبات:

لقد كانت الجزائر خلال العهد العثماني في طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات بحيث كانت الكتب تصل من مصر والحجاز أيضا فقد روى المؤرخ الجبروتي أن والده قد ذكر أنه ورد عليهم في مصر سنة 1196 بعض الحجاج الجزائريين أعزاء الشيخ الجبرتي بشراء نسخته منه ولكن الجبرتي أبى أن يسمح في نسخته العزيزة عليه.

وكانت تركيا والمغرب من البلدان التي اقتنى منها الكتب والمخطوطات، وتختلف طرق اقتناء الكتب ومنا الاستنساخ والنسخ ذلك أن الحريصين على جمع الكتب كـــانوا ينسخون الكـــتب بأنفسهم أو يستنسخون كتب غيرهم. [2]

ومن أشهر المسؤولين الذين شجعوا على حركة النسخ والاستنساخ الباي محمد الكبير فقد شجع الطلبة وكتابه الخصوصيين [3] على اختصار الكتب المطولة ونسخها له وكان يجيز كل واحد منهم بسخاء حسب عمله وجهده فقد أمر بعضهم بجمع فتاوى العلماء .

وكان الشراء من أهم طرق الحصول على الكتب ولم يكن ذلك مقصورا على الأغنياء والأمراء ونحوهم بل كان يشمل حتى فقراء العلماء الذين كانوا يؤثرون الكتاب على ملأ المعدة واللباس الفاخر والفراش الوثير.

وتنقسم المكتبات في الجزائر إلى عامة وخاصة فالمكتبات العامة فهي الملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصا، ثم لجميع القراء المسلمين وكانت الكتب بهذه الخزائن نقل وتكثر تبعا لأهمية الوقف الذي تتغذى منه وأشهر هذه المكتبات مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة والمدرسة الكتانية ومكتبة المدرسة المحمدية.

أما المكتبات الخاصة فكثيرة حيث اشتهرت بعض العائلات بها كعائلة الفكون في قسنطينة التي كانت يعطى بها الأمثال وهي المكتبة المعروفة باسم حمودة الفكون وكان لأبي راس الناصري مكتبة كبيرة حبسها عليه أحد بايات وهران.

1- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 213.

2- بن جدة وآخرون، الطرق الصوفية وتأثيرها على المجتمع الجزائري في العهد العثماني، مذكرة ليسانس، تاريخ عام، جامعة الشيخ العربي التبسي، تبسة ، ص ص 38 - 39.

3- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 285.

وكانت أغلب المكتبات تحتوي على الكتب ذات العلوم الدينية نظرا للإهتمام العثماني بهذه العلوم. [1]

نستنتج من خلال عرضنا للفصل الأول:

أن عدد السكان في أواخر العهد العثماني تراوح ما بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف، كما صنف المجتمع الجزائري حسب المؤرخين إلى قسمين: سكان المدن بمختلف الشرائح وسكان الريف، ومعظم الدراسات التي اهتمت بتاريخ الجزائر الحديث تشير إلى أن أغلب السكان كانوا يتمركزون في الريف، وكانت لهم حياة يومية خاصة كالعادات والتقاليد، بالإضافة إلى اللباس واللغة وغيرها التي تميزوا بها في تلك الفترة.

أما بالنسبة للوضع الاقتصادي المتمثل في الصناعة والزراعة فقد لاحظنا أنهما شهد تطورا ملحوظا لولا السياسة الجبائية التي فرضتها السلطة العثمانية في الجزائر على مستعملي الأراضي الفلاحية، فكانت هذه السياسة السبب المباشر الذي جعل الفلاحين ينصرفون عن النشاط الزراعي، أما فيما يخص الجانب الصناعي فلاحظنا أنه لم يكن على درجة عالية من التطور والازدهار حيث اكتفى السكان بالحرف اليدوية فقط كالنسيج وصناعة بعض الأسلحة وغيرها وهذا راجع لعدم اهتمام السلطة العثمانية الحاكمة بهذا الجانب.

أيضا كنا قد تطرقنا للجانب الثقافي فلاحظنا أنه اقتصر على العلوم الدينية وهي الميزة التي صبغت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، حي سيطر عليها التصوف والدروشة وانتشار البدع وتعدد الطرق الصوفية وكانت هناك محاولات ضئيلة جدا مثل عبد الرزاق ابن حمادوش حاول التجريب واستعمل بعض الأعشاب كالكين كينة لمعالجة مرض الحمى.

ويعود هذا الركود والجمود الفكري إلى عدم اهتمام العثمانيون بالعلم والعلماء وهذا ما أدى إلى ظهور المبادرات الفردية وبروز عدة علماء كأبي راس الناصري ومحمد بن حسين الجزائري وغيرهم الذي احتلوا مكانة مرموقة سواء في الجزائر أو المشرق.

وكانت بالجزائر العثمانية عدة مراكز تعليمية ساهمت في نشر العلم منها المساجد والزوايا والمكتبات والمدارس وغيرها.

1- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 286.

الفصل الثاني: الأمراض والأوبئة وانعكاساتها .

1- اهم الأمراض .

2- انواع الأوبئة.

-3 انعكاساتها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

الفصل الثاني: أهم الأمراض وأنواع الأوبئة وانعكاساتها .

1-أهم الأمراض.

يقاس المستوى المعيشي لأي دولة بالأحوال الصحية السائدة ولهذه الأخيرة دور هام وحاسم وأهمية بالغة لفهم الأوضاع الاجتماعية، فقد عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني العديد من الأمراض والأوبئة التي سنذكرها لاحقا.

وقد أشار بعض الرحالة الأوروبيين أن الجزائر كانت خالية من الأمراض المعدية والأوبئة وإنما وصلت إليها عن طريق الحجاج والطلبة الآتين من المشرق أو التجار الأوروبيين والسودانيين وغيرهم التي كانت تتعامل معهم إيالة الجزائر.[1]

وإذا استثنينا بعض الأمراض التي كانت تظهر من حين لآخر فإن الجزائر لم تشهد أمراض كثيرة الخطورة خلال العهد العثماني ومن الأمراض التي ظهرت في بدايتي فصلي الربيع والخريف مرض الرمد الذي كان يصيب الأطفال في غالب الأحيان. [2]

وقد أكد حمدان بن عثمان خوجة هذه الحقيقة حيث قال « ومن حيث التكوين فإن أجسام الجزائريين ..... وذلك أن امتزاج العنصر التركي بالعنصر الأندلسي قد أنتج عنصرا مختلط من النوع الرفيع، الأمر الذي جعلنا لا نجد في مدينة الجزائر رجالا من ذوي العاهات أو المصابين بالأمراض

1- محمد الزين، نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية أواخر عهد الدايات، مجلة البحوث والدراسات، 17، 2012، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص 192.

2- F. DHaéto "topgraphie et histoire générale d'alger" lard de l'espagral par A Berbrugger et moureneau, in R.A.N° 15, Alger, 1871, P 462.

الكريهة أو أمراض الجلد ولم يعرف مرض الزهري إلا حديثا وكان يسمى باريس ويعالج بحمية من أصعب ما يكون ولكن المريض يشفى في ظرف شهرين». [1]

ولكن على الرغم من ذلك إلا أنه كان هناك بعض الأمراض المنتشرة في الأرياف خاصة هؤلاء الذين يعيشون في المناطق السهلية مثل سهل متيجة حيث كانوا يتعرضون للحمى بسبب المستنقعات على عكس الجبال. [2]

ولقد ذكر حمدان بن عثمان خوجة سبب تعرض المرأة الريفية للأمراض المختلفة ويرجع ذلك إلى قيامها بالأعمال الشاقة وعدم اعتنائها بالنظافة وهذا ما جعله يقول: "نرى هؤلاء النساء اللاتي لا يتوقفن عن الأشغال الشاقة قذرات لا يعتنين بهندامهن وعلاجهن عبارة عن نباتات معروفة بنجاعتها لأن السكان هنا لا يعرفون مبادئ التطبيب وبالنسبة إليهم فالطبيعة وحدها هي التي تصنع المعجزات، ومن العادة أنهم في هذه الحالات يلجؤون إلى الحمية. [3]

ومن أهم الأمراض المنتشرة في الجزائر أواخر العهد العثماني من (1770 م 1830 م) نذكر منها:

1-1- مرض السل: من أشهر الأمراض التي عرفتها الجزائر بحيث ضرب هذا المرض الجزائر ما بين سنتي 111532 - 1782 م حوالي 26 مرة وعرفت مدينة الجزائر حالات بالإضافة بهذا الداء نتج عنه انخفاض في عدد السكان.

1- أرزقي شوتيام: المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 277.

2 - E, Niersiol " La mégence" Agler vue par un allemand au XVIII siècle" pub-s-Histoire Algerienne, 1930, P 58.

3- أرزقي شوتيام، المرجع السابق، ص 279.

1-2-المرض الأحمر: (الحصبة) La rougeole حيث قتل العديد من الأطفال. [1]

1-3-مرض التيفوس: يدعى بالهواء الأصفر وارتبط بسنوات المجاعة تكرر تقريبا كل عشرين سنة وهو نوعان:

أ- التيفوي الطفحي: سمي بالنمشي ويسمى Tuphuse scanthemati وهذا النوع هو الذي أصاب الفرق العسكرية الإسبانية الموجودة في بجاية، ومن أعراضه ارتفاع درجة جرارة الجسم إلى 40° درجة مع صداع شديد وطفح جلدي وقد عانى منه السكان بشدة في أوت 1826م.

ب- تيفوس مورين: يعرف بالتسمة اللاتينية Typhus murin ويشكل برغوث الفأر الناقل لهذا المرض، وأعراضه تكون مماثلة لأعراض التيفوس الطفحي. [2]

1-4-مرض الجدري: قدم إلى الجزائر من أوروبا عن طريق اللاجئين الإسبان والتجار الإيطاليين، حيث كان يفتك بالسكان كل أربع أو خمس سنوات، متسببا في عدد كبير من الوفيات والتشوهات ومن أهم الفترات التي ظهر فيها وبخطورة شديدة في الجزائر، سنوات 1803م-1804م، حيث أودى بحياة ما بين 2000 و 3000 شخص في مدينة الجظائر وحدها[3]، فكان وباء تلك السنة السبب المباشر لإدخال التلقيحات ضد الجدري إلى الجزائر.

1- عثمان بوحجرة: الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518 - 1871، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2015، ص 50.

2- محمد الزين: الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية، 1518هـ - 1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2010-2011، ص 209.

3- نفسه، ص 22.

1-5- مرض الحمى: تعرضت الجزائر لمختلف أنواع الحمى، أشهرا وأكثرها انتشارا هي حمى المستنقعات أو الملاريا التي تسببت فيها المياه العكرة في المستنقعات والأودية المحيطة بالأحياء السكانية، منها منطقة متيجة الموبوءة، حيث قال (فونتور دوبرادي) أن أخطر ما كان موجود في الجزائر، هو تلك الروائح الكريهة المنبعثة من وادي الحراش ومن مستنقعات متيجة[1].

1- صليحة علامة :الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830-1962 م،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان 2017،ص 21.

من شهر جويلية إلى غاية نزول أول أمطار الخريف فتحمل الرياح الحمى إلى الضواحي ،والتي وصفها أحد أبناء المنطقة حمدان خوجة كالتالي :إن متيجة لا تغدو أن تكون أرض أوحال ومستنقعات ومحيط ضرر ،وقد استولت على هذا السهل الحمى التي أصبحت تعيش مع سكانه ،الذين تعودو على زياراتها المتتالية .

6-1- أمراض العيون :

أمراض العيون عرف انتشارا واسعا وسط السكان في الجزائر ،الأمر الذي أكده البارون هباند الذي زار المنطقة في 1786 وكتب عنها ،يرجع هذا المرض للتغيرات التي كانت تطرأ على المناخ فؤثر هذه التغيرات على تركيبة العين ويشير الجاسوس الفرنسي بوتان أن هذا الداء انتشر وسط فئة اليهود فقط[1].

1- صليحة علامة: المرجع السابق، ص22.

2- أنواع الأوبئة.

تميزت الفترة العثمانية بسوء الأحوال الصحية ويعود ذلك لسبب الاختلاط وانفتاح الجزائر على العالم الخارجي بحيث حملات الوباء هذه كانت تدوم لوقت طويل وتقضي على عدد كبير من الأرواح.

ويعرفه ابن خلدون ويطلق عليه مصطلح الموتان وذلك أن الوباء يمثل الموت بحدوث هذا المرض المفاجئ للإنسان والحيوان على حد سواء. [1]

أما طبيا فهو مرض بكتيري حاد مشترك بين الإنسان والحيوان وهناك من يعرفه بأنه مادة سمية تحدث ورما قاتلا. [2]

أما عند المسلمين فكانوا يؤمنون أن الطاعن قضاء وقدر. [3]

فلا يمكننا التفريق بين الوباء والطاعون فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون، أي أن الوباء قد يشمل أمراض عديدة من بينها الطاعون، وحسب ابن سينا فإن وباء الطاعون هو نتيجة تعفن الهواء وأن المرض يعدي وينتقل عن طريق الهواء، اللعاب وحتى اللباس، أما رجال الدين والفلاسفة أرجعوا

1- مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، 1520م، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009، ص 21.

2- عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص 53

3- ابن خلدون، المقدمة ،ط 1 ،دار الجوزي ،القاهرة ، ص 299.

أسباب الوباء إلى أسباب روحانية بتقارب الأفلاك كاجتماع الكواكب واتصالها ببعضها البعض كاجتماع المريخ وزحل في البروج النارية. [1]

وحسب ما أقره الطب الحديث هناك 3 أنواع من الطاعون:

2-1 الطاعون العقدي: باللاتينية الدبلي bubohic وهو عبارة عن خرجات ناتئة تظهر في المغابن (بواطن الأفخاذ والإبط).

2-2 الطاعون الإنتانمي: ويطلق عليه اسم (seplisemie) وتعني دموي، ويطلق عليه اسم الطاعون الدموي والتسممي وهي قروح تظهر لأول مرة في الجلد على شكل نفاخات سوداء، ويصاحب ذلك ارتفاع شديد في درجة حرارة الجسم.

2-3 الطاعون الرئوي: هو الذي أشار إليه ابن خلدون إذا فسد الهواء وقع المرض في الرئة وهو أشد وأخطر أنواع الطواعين فتكا بالناس على الإطلاق، لا يكاد يسلم منه أحد ولا علاج له في الغالب. [2]

ولقد عرفت الجزائر خلال العهد العثماني عدة أوبئة مختلفة أبرزها الطاعون حيث كان من أهم وأخطر الأوبئة التي تعرضت لها الجزائر وكان أوله ظهور له خلال العهد العثماني عام 1552 [3] وكان يحدث غالبا بعدما تشهد البلاد كوارث طبيعية من مجاعات وغيرها[4] ويعد طاعون 1817 من أخطر

1- ابن الخطيب، مقنعة المسائل عن المرض الهائل، منشورات معهد العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا، 1417هـ-1997م، ص 38.

2- مزدور سمية، المرجع السابق، ص ص 21 - 22.

3- عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص 54.

4- ناصر الدين سعيدني، المرجع السابق، ص 126.

الأوبئة حيث بلغ ضحاياه 20 ألف ضحية، ويتكرر كل عشر أو خمسة عشر سنة وكان الوباء يستمر لبضع سنوات كما حدث سنة 1784-1798م، وقد كانت هذه الأوبئة تنتقل إلى الجزائر عن طريق الحجاج والجنود المجندين والتجار القادمين من المشرق وكان الوباء يدخل إلى الجزائر عن طريق البحر لذلك نجد أن من كان يصاد به هم عمال الموانئ. [1]

ويشير أرزقي شويتام أن وباء الطاعون لم يكن في الجزائر فقط، بل شمل معظم الدول المطلة على البحر المتوسط، وذلك لكثرة الاتصالات بين هذه الدول، ومصدره الأصلي يرجع إلى المدن التركية لأنها تعد مركز الأجناس المختلفة، وقد كان الوباء ينتقل من المدن التركية الساحلية إلى بيروت والإسكندرية، ثم دول المغرب العربي. [2]

وقد عاش المجتمع الجزائري خلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني عدة أوبئة مذكر منها:

1- وباء 1787: سمي بالوباء الكبير متأخرا بنحو 6 سنوات انتقلت العدوى من أحد السفن التي قدمت من الموانئ العثمانية وسمي بالوباء الكبير لأنه حصد أرواح كثيرة ففي مدينة الجزائر لوحدها قدر عدد الضحايا في اليوم الواحد 500 ضحية.

استمر الوباء الكبير حوالي عشر سنوات وانتشر في معظم أنحاء البلاد.

1- أحمد الشريف الزهار ،المصدر السابق، ص 78.

2- أرزقي شويتيام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830م)، دار الكتاب العربي، ط 1، الجزائر، 2010، ص ص 84 - 85.

2- وباء 1793: وهو طاعون أصاب مدينة الجزائر سنة 1792 م نقله إليها بحارة قدموا من القسطنطينية[1] ثم انتشروا وهذا ما تؤكده رسالة القنصل الفرنسي إلى مرسوله في عنابة في 23 جانفي 1793م قائل أن الطاعون أصاب العاملين بمدينة الجزائر وانتقل بعدها إلى الأرياف، وانتقل بعدها إلى البليدة وقسنطينة مما أدى بالسلطات المحلية بالتحرك وبذل مجهودات من أجل التصدي لهذا الوباء، فقامت بغلق الموانئ ومنع القادمين إليها من الدخول وعدم الاتصال بالبواخر المجهولة الأصل، وهو بالضبط ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم عندما تحدث عن الوباء حيث قال: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه.

وبالرغم من جميع المجهودات التي بذلتها السلطة، فإن الوباء لم ينقطع واستمر إلى غاية سنة 1794م، وبالرغم من شدته لم يؤثر على الحياة الاقتصادية.

3- وباء 1799: كانت الجزائر في هذه الفترة في حرب مع فرنسا بسبب حملة نابليون بونابرت على مصر، أغلقت الجزائر المؤسسات الفرنسية وألقي القبض على جميع الفرنسيين بما في ذلك القنصل الفرنسي، انتشر الوباء في الجزائر وقسنمطينة ووصل إلى الجنوب وكان كل يوم يحصد مائة وعشرين شخصا. [2]

4- وباء 1816: يعد من أخطر الأوبئة التي أصابت الإيالة، بعض المؤرخين يقولون أنه دام 4 سنوات والبعض الآخر يرجح أنه دام 6 سنوات جاءت العدوى من الإسكندرية عندما حلت سفينة الحجيج بميناء عنابة في اليوم الثامن من شهر جوان وعلى متنها مصابين بالوباء، ويشير مارشيكا أن

1- عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص 56.

2- عثمان بوحجرة ،المرجع السابق ، ص 56.

الطاعون وصل إلى عنابة يوم 7 جويلية 1816 م وأن سببه يرجع إلى قدوم بارجة أهداها الصدر الأعظم للداي يوم 8 ماي 1816م، في حين أن دومكرانمون يشير إلى أن الطاعون خل بالبلاد سنة 1818. [1]

ويعد أري مارشيكا على صواب لأن الآراء الخاصة بأسباب العدوى وانتشارها سنة 1817 كثيرة ومتناقضة، فيقول البعض أن المرض جاءت به سفينة سويدية قدمت من أزمير يوم 13 جانفي 1817، بينما تذكر جماعة أخرى أن احدى السفن الجزائرية هي من نقلت عدوى الوباء من المكان المذكور يوم 14 من نفس الشهر، وهناك من يتهم البارجة اليونانية (إفريقيا) التي خرجت من بيروت يوم 22 جانفي 1817م.

رغم وجود هذه الاختلافات حول تاريخ انتشار الوباء وأسبابه إلا أن الجميع يتفق على أن المرض ألحق أضرار كبيرة بالمنطقة، حيث منع الناس في نواحي عنابة من العمل وزهدهم في الحياة وكان في قسنطينة يحصد يوميا أرواح حوالي 30 شخصا، كما جعل سكان بجاية وجيجل يهربون إلى قمم الجبال. [2]

وللتأكيد بالمؤشرات الرقمية المتعلقة بالوفيات وضحايا الأوبئة عبر مناطق عدة في الجزائر انظر الملحق رقم 03 ص72.

وعن عدد الوفيات في مطلع القرن 19 م بمدينة الجزائر انظر الملف رقم 04-05 ص72-73.

1- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 63.

2- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 52.

3- انعكاسات الوضع الصحي على الواقع الاجتماعي والاقتصادي

3-1 انعكاس الوضع الصحي على الواقع الاجتماعي:

مدينة الجزائر التي زارها حسن الوزان في مطلع القرن السادس عشر ليست هي التي تطورت خلال العهد العثماني فقد قدر سكانها نحو أربعة آلاف كانون ومعنى أنها كانت أقل سكانا من مدينة بجاية بنحو أربعة آلاف كانون نمت هذه المدينة بسرعة كبيرة نتيجة هجرات الأندلسيين إليها وتوافد الأتراك والأهالي عليها لأنها أصبحت مقر السلطة المركزية وميناء القرصنة الكبيرة، قدرها يدو سكانها في أواخر القرن السادس عشر بحوالي مائة ألف ساكن.

وفي أواخر القرن الثامن عشر، قد "بارادي" سكان مدينة الجزائر بـ 50 ألف نسمة. [1]

وقد عرفت الإيالة تدهورا كبيرا من الناحية الصحية والمعيشية حسب ما أورده سعيدوني مما أثر سلبا على الوضع الديمغرافي خاصة في أواخر القرن 18م، حيث تناقص عدد السكان [2] خاصة (الأطفال والشيوخ) وانتشر الفقر واثر ذلك هاجر عدد هائل من سكان المدن نحو المناطق الداخلية وكادت المدن تصبح خالية [3] وذلك بسبب انتشار الأمراض وانتقال العدوى من الدول التي تتعامل معها الإيالة كالدول الأوروبية وبلاد المشرق العربي، ومن هذه الأمراض التيتانوس الحدري، الطاعون، السل، وكانت العدوى تنتقل خاصة عن طريق التجار أو التجارة أو الطلبة. [4]

1- صالح عباد، المرجع السابق، ص 355.
2- نصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، المرجع السابق ، ص 559.
3- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 51.
4- نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 559.

وقد تسبب هذا الوضع الصحي المزري تحولات جذرية في نمط حياة بعض القبائل فاندثرت بعض الأسر والقبائل بأكملها، كما طرح الوباء مشكلة الإرث سواء على مستوى المدن أو الأرياف. [1]

حيث قال حمدان خوجة "في زمن الطاعون كان لإدارة بيت المال نشاط يفوق جميع الإدارات الأخرى، فهي التي تقوم بإحصاء الموتى وتعمل على تجنب الفوضى التي تتسبب فيها كثرة الوفيات كما أنها هي التي تتولى التركات المهملة وتقوم بعمليات الميراث". [2]

وبسبب هذا التدهور للأحوال الصحية اضطرت لإعادة النظر في قوانينها العرفية المتعلقة بقضية الميراث وأحسن دليل على ذلك ما حدث في منطقة القبائل في عام 1818م، فقد اجتمع سكان القرية ليعيدوا النظر في قوانينهم العرفية المتعلقة بمسألة الإرث. [3]

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار الأمراض والأوبئة بسرعة، وجود مستنقعات بالسهول الساحلية وظروف مناخية كانت تعرفها البلاد من فترة لأخرى من جفاف وفيضانات وزحف الجراد وعدم وجود ثقافة الإلتزام بالقواعد الصحية في حالة وجود وباء أو مرض وعدم وجود أدورية ناجعة. [4]

وأكثر الأمراض فتكا بالسكان تمثلت في الطاعون، ففي هذه الفترة نجد وباء 1786-1787م الآنف الذكر أدى إلى انخفاض سكان مدينة الجزائر إلى خمسين ألف نسمة، موت ثلث سكان عنابة،

1- أرزقي شويتام،المرجع السابق، ص 136.

2- حمدان خوجة: اتحاف المنصفين .....، المصدر السابق، ص 136.

3- أرزقي شويتيام، المرجع السابق، ص ص 293 - 294.

4 - Thomas shaw, voyage dans la regence d'alger, tradition de l'anglais, mar J, mec carthy 2éme edition, Tunis, 1980, P81.

كما تسبب الطاعون في موت عدد كبير من الأسرى ووباء 1817-1818م الذي راح ضحيته 14 ألفا من سكان مدينة الجزائر وثلثي سكان ومدينة عنابة.

واستمر الطاعون يظهر من حين لآخر حتى عام 1822 كآخر وباء خلال الفترة العثمانية [1] وما يجدر بنا ذكره هو أنه عندما يظهر الوباء الطاعون فإنه يصيب أيضا الحيوانات مثل الماشية والخيول ففي سنة 1818 م ضرب الطاعون وضقى على 14 فرسا في اسطبل الداي في مدة أسبوع واحد. [2]

وهذا ما أثر كثيرا على البيئة وصحة السكان مثال على ذلك منطقة القبائل التي كان في اقتصادها معاشي في الجبال التي تميزت بوعرة تضاريسها وقساوة مناخها وكان اقتصادها يعتمد على الزراعة وكانت تستخدم فيها أدوات تقليدية جدا كالمنجل والمحراث الخشبي. [3]

2-3 انعكاسات الوضع الصحي على الواقع الاقتصادي:

مرت السياسة الاقتصادية التي مارستها السلطة العثمانية في الجزائر بمرحلتين هما:

الأولى: منذ دخول العثمانيين إلى الجزائر بداية القرن السادس عشر إلى غاية منتصف القرن السابع عشر وكانت فيها مداخل القرصنة أو الجهاد البحري كبيرة، وهطا ما جعل الحكام لا يتدخلون في شؤون السكان، وكانوا يتعاملون فقط مع شيوخهم نتيجة تأثرا الناس بهم.

1- فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان...، المرجع السابق، ص ص 112 - 113.
2- عثمان بوحجرة، المرجع الساق، ص 47.
3- ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي الجزائري، المرجع السابق، ص 33.

الثانية: امتدت من أواخر القرن التاسع عشر إلى تاريخ الاحتلال الفرنسي، بدأوا بالتدخل في شؤون السكان والعمل على إخضاعهم لسلطتهم وكمثال على ذلك رحلة الباي محمد الكبير نحو الجنوب الصحراوي لإخضاع لغواط وقبائل الجنوب ويسرد لنا ابن هطال التلمساني أحداث هذه الرحلة.

والهيمنة على القبائل بسبب نقص مداخيل الجهاد البحري، واعتمدت السلطة في ذلك على القوة وعدم مراعاة ظروف وأحوال الأهالي وتجاهلت الشيوخ والمرابطين. [1]

وسياسة جمع الضرائب زادت من فقر الفلاح الجزائري، وسادت أحواله المعيشية وتدني بسبب هذا الأوضاع الصحية والممارسة الطبية.

كانت الزراعة هي المورد الرئيسي الذي يؤمن معيشة غالبية السكان والإنتاج فيها إقطاعي حيث نجد أن الأراضي الخصبة كانت ملكا للطائفة التركية.

كان الفلاح يحصل على خمس الإنتاج مقابل عمله في الأراضي الزراعية مستعملا الوسائل الفلاحية البدائية، مما أثر سلبا على الاقتصاد بتدني المستوى المعيشي. [2]

فأدى ذلك إلى غلاء الأسعار وندرة المواد الغذائية، مما زاد في معاناة السكان انتشار أوبئة كان لها أثر كبير على الوضع الصحي والاجتماعي والثقافي.

1- مسلم عبد القادر الوهراني، خاتمة أنيس الغريب والمسافر، تح وتق رابح بونار، د ط، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 130.

2- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 52.

وهذا الوضع المزري جعل الفلاح يترك أرضه ويذهب للزراعة المؤقتة والرعي المتنقل هروبا من سيسة الضرائب المجحفة، فكان الفلاح مهدد من قبائل المخزن ومن تعرضه للأمراض والأوبئة ومعاناته من الفقر والمجاعات، وانتشر الفساد والنهب. [1]

كل هذه الأسباب أثرت سلبا على الإنتاج وجعلت الفلاح يفقد الرغبة في العمل وهذا ما أدى إلى نقص اليد العاملة.

أما النشاط الصناعي في المدن كان ضعيفا حيث اقتصر على الحرف المحلية وبعض الصناعات المعدنية التحويلية، والصناعة النسيجية وصناعة الفخار وصناعة الحلي، والأحذية والأحزمة الحمراء بتلمسان والشواشي بمدينة الجزائر. [2]

أما فيما يخص التجارة الداخلية كانت تتم في الأسواق الأسبوعية والسنوية في الأرياف.

وكانت القوافل التجارية تمر على الأراضي الجزائرية متهجة نحو المشرق العربي أو بلاد السودان. [3]

كان الاقتصاد الجزائري في العهد العثماني قائما على الفلاحة في الريف والعائدات البحري والتجارة الخارجية والحرف في المدن ومثلت الزراعة المورد الأساسي للسكان خاصة عندما تتراجع المداخيل البحرية أو تتدهور التجارة الخارجية. [4]

1- عبد القادر مسلم الوهراني، المرجع السابق، ص 130.
2- نصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 56.
3- نصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر ...، المرجع السابق، ص 34.
4- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 119.

وما أدى إلى مضاعفة الضرائب على السكان هو نقض عائدات الخزينة أو حدوث كوارث طبيعية من زلازل وجفاف وانتشار الأمراض والأوبئة خاصة في أواخر العهد العثماني، وهذا ما أدى إلى ضعف القدرة الشرائية وتدني الوضع الصحي ومستوى الخدمات الصحية.

ففي فترة 1794 نقص الإنتاج الزراعي في بايلك الشرق فقل العرض وارتفعت الأسعار وتفشت الأمراض، فاضطر الباي صالح باي إلى التصريح إلى الشركة الملكية لإفريقيا لإيقاف تصدير الحبوب بسبب شدة الأمراض والأوبئة. [1]

إن العامل الديمغرافي مرتبط بالعامل الاقتصادي ولهما الأثر المباشر على المستوى المعيشي والرعاية الصحية والخدمات الطبية، فانتشار الأمراض والأوبئة وغيرها من الكوارث الطبيعية الأخرى كاد يؤدي إلى موت عدد كبير من السكان خاصة الأطفال والشيوخ، وحدوث أزمة اقتصادية نتيجة إتلاف الزرع وارتفاع الأسعار وقلة الإنتاج وكان الفلاح في الريف أكثر تضررا وعرضا لأمراض سوء التغذية مما زاد في بؤسه وانتشر الفقر، والضرائب كادت أن تنعدم بعد تضرر المزروعات بسبب الكوارث في سنة 1816[2] ونتج اختلال في البيئة فانكمشت الأراضي الصالحة للزراعة وتقلصت الثروة الحيوانية حتى أصبحت المساحات المستغلة فعليا لا تتجاوز 359040 هكتار وتحولت حياة الفلاح في الريف من حياة استقرار إلى حياة ترحال وإهمال للأرض بحثا للكلأ للمواشي وهروبا من الضرائب، وأصبحت الأراضي مراعي موسمية مما كان له تأثير حتمي على التوازن البيئي للأرض، وقال في هذا الصدد ناصر الدين سعيدوني أنه في حوالي 1791م اضطر قسم كبير من السكان إلى اللجوء إلى المناطق الجبلية

1- فلة القشاعي الموساوي، المرجع السابق، ص 12.

2- نصر الدين سعيدوني : النظام المالي الجزائري، المرجع السابق، ص 56.

المنيعة فنتج تناقص المحاصيل الزراعية التي لم تعد تكفي بحاجة السكان الاستهلاكية وقد كانت تصدر من قبل إلى الخارج. [1]

1- نصر الدين سعيدوني : النظام المالي الجزائري، المرجع السابق، ص 37.

نستنتج من خلال عرضنا للفصل الثاني:

أن ظهور الأمراض والأوبئة التي عرفتها الجزائر كمرض الجدري وحمى المستنقعات والسل ،ومختلف الأوبئة التي سبق ذكرها كوباء 1799 ووباء 1816 راجع لعدة أسباب منها :

-الجزائر كانت بيئة خالية من الأمراض و الأوبئة وهذه الأمراض انتقلت إليها عن طريق الحج والتجار والبحارة والطلبة الآتين من المشرق .

-الظروف المناخية للجزائر كالجفاف و ا لفياضانات ،و زحف الجراد و قساوة المناخ .

-وجود مستنقعات بالسهول الساحلية .

-عدم وجود أدوية ناجعة .

-افتقار السكان للثقافة الصحية في حالة ظهور الأمراض والأوبئة .

-عدم وجود مشروع حضاري يضم سياسة صحية و وقائية إلا في بعض الحالات الإستثنائية خلال العهد العثماني كعهد الباي محمد الكبير الذي أولى اهتمامه بالطب وشجع العلماء على الاهتمام به .

-عدم وجود رقابة من طرف السلطة ، فوجد المشعوذ والطالب والراقي والحلاق و الجراح الذين استغلوا السكان مما أدى إلى تدني المستوى الخدمات الصحية.

ومن هنا شهدت الجزائر تدهورا واضحا من الناحية الصحية والمعيشية فأثرت سلبا على المجتمع الجزائري حيث أدت هذه الأمراض إلى وفاة العديد من السكان .

كما تأثر الوضع الاقتصادي بهذه الأزمة الصحية حيث قل الإنتاج الزراعي وتأثر الفلاحين في الريف وإصابتهم بأمراض سوء التغذية مما زاد في تعاستهم فكادت الأرياف تفتقر بسبب هذه الظروف المزرية .

الفصل الثالث: آليات وطرق العلاج

1-أبرز العلاجات .

2- الجهود المبذولة.

1- أبرز العلاجات .

1-1- التداوي التقليدي "الأعشاب"

أمام هذه الأوضاع المزية والمتمثلة في انتشار الأمراض والأوبئة ولعدم اعتناء حكام الإيالة بصحة السكان عامة في بعض الأحيان حيث لم يجدوا حلول مما دفعهم الأمر إلى اللجوء إلى المداواة بالطرق التقليدية [1]، أي التداوي بالأعشاب مع العلم أن النباتات منذ القدم تلعب دورا هاما في الغذاء والدواء ومعظم النباتات تحتوي على أكثر من مادة فعالة وبالتالي يكون لها عدة استطبابات في آن واحد، وأثبتت الدراسات الحديثة أنه يوجد بالجزائر ثروة نباتية كبيرة تقدر بـ 3500 نوع منها النباتات التي تعود للمناخ الحار ومنها إلى المناخ المعتدل، ولا يقل عن 500 عشبة متداولة بين الأهالي للعلاج ومعروفة عند السكان ومنها 100 نبات يباع لحد الآن عند العشابين في الأسواق [2]، لمعالجة الكثير من الأمراض الأمر الذي جعل اليهود يمتهنون تجارة العقاقير وكذلك بني ميزاب وكانت القبائل تشتهر بثروة نباتية متنوعة حيث تعاطى تجارها كل من اليهود وباقي السكان للإيالة الذين كانوا يستعملونها في الغلبان، واستخدمت هذه الأعشاب أيضا كمادة أو بخور أو علكة لفرز اللعاب. [3]

ولقد أورد محمد الزين في مقاله عن الأحوال الصحية أن سكان السهول كانوا يعتمدون في علاجهم عن نباتات معروفة بنجاعتها لأنهم لا يعرفون التطبيب، وبالنسبة إلهم الطبيعية وحدها هي التي تصنع المعجزات ومن العادة أنهم في مثل هذه الحالات يلجئون إلى. [4]

1- فتيحة صحراوي: المرجع السابق، ص 39.

2- عثمان بوحجرة، المرجع السابق ، ص 68.

3- فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، 1518-1871، دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2003 ،ص 196.

4- محمد الزين: المرجع السابق ،ص 68.

كما اشتهر سكان مناطق الشرق الجزائري باستخدام الأعشاب للتدواي وقد كانت لهم تجاري ناجحة في هذا المجال ومن بين الأدوية العشبة الشائعة عنهم العرعار، الزعتر، الكمون، القطران والبصل وزيت الزيتون والمرهم الذي يصنعونه من عصارة شجرة الصنوبر. [1]

وعند الحديص عن التداوي التقليدي لدى السكان بمختلف شرائحهم يجدر بنا الحديث عن الطرق المتعبة وهي كما يلي:

- لجوء أهل التلمسان إلى تعليق أطراف القماش في أغصان الشجر والأعشاب السالفة الذكر لعلاج العديد من الأمراض كالطاعون الذي كان يتم علاجه عن طريق التعريق (Sudation) حيث كان المريض يشرب دواء معرق (Sudorifique) والذي أساسه الأعشاب كالفيحين والزعتر وخليط من العقاقير وبعض الملولات الكحولية وكان يوضع على المريض غطاء أو جلد حيوان لعلاج الطاعون. [2]

كما استعملت نبتة الكين كينة [3] من طرف السكان لمعالجة ألم الحمى وهذا نظرا لنجاعتها في العلاج وقد أشار عبد الرزاق ابن حمادوش في قوله "أصابتني حمى شديدة فلم أستطع القراءة حتى ألهمني الله أن أشتري ثلاثة أثمان من الكين كينة فاشتريتها بست موزونات، فلما أخذتني واشتد بي بردها ضحاء يوم السبت السابع من ربيع الأول، دفعت الثمن الأول وشربته في فنجان قهوة من البن، فلما استقر بي بطني أمسكت الأعضاء كلها عن الإختلاج، إلا عرقا واحدا من يدي اليمنى بقي يختلج اختلاجا يسيرا، فلما شربت الثمن الثاني انقطع من كل عضو ثم شربت الثمن الثالث فلم يبقى بي ألهم منها، إلا أنها كسر صورتها الدواء كأنها تعاندا أو تدافعا فثقلت من

1- عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص 68.

2- فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص ص 196 - 197.

3- الكين كينة Quinine، دواء يستخرج من قشرة أشجار الكين كينة المنتشرة في المناطق الإستوائية، اكتشفا الأوروبيين في القارة الأمريكية في القرن 16، للمزيد أنظر: دلندا الأرقش، **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003، ص181.

شدة الحرارة وألزمني النوم فبقيت كذلك إلى غروب الشمس، فانصرفت تلك الحرارة عني والحمد لله قمت وتوضأت وصلبت وكان آخر ما رأيت من الحمى. [1]

أما عند الحديث عن مرض الجدري وكيفية معالجته فالأهالي كانوا يقومون بترك المريض في غرفة معتدلة الحرارة ويناولونه بعض حبات التين المجفف الممزوج بالعسل وهذا من حين إلى آخر كما يقدم اللحم الجاف ويستمرون على هذا الحال حتى تخرج البثور على جسم المريض وهذا للوقاية من الإصابة بهذا المرض[2]، ومن العادات المنتشرة والسائدة وسط الأهالي[3] هو سيطرة التفكير الخرافي حيث استحوذ المتصوفة المتشعوذون على العامة إلى درجة أصبحوا معها قوة يحسب لها حسابها خاصة في العهود الأخيرة من الحكم العثماني، ومن بين هذه العادات هو التبخير وهذا لاعتقادهم الشائع في إبعاد الأمراض ومختلف الكوارث الطبيعية حيث كان النساء يقومون بزيارة ضفاف الأودية ويبخرون بالجاوي وزريعة الكسبر، ثم يأكلن نصيبا من خبز الشعير بعد رمي كمية منه في الواد حيث يتلفظن بالعبارات التالية «أيها الجنون كلوا هذا الخبر من منكم يصيب أولادنا يصيبه الله، ثم يقمن بملأ كمية من مياه الواد وتشربها للأطفال» بالإضافة إلى أن الرماد الذي ينتج عن البخور كان يستعمل لكافة الجسم لكي لا يصاب بالأمراض الخطيرة.

أما سكان القليعة ومستغانم فكانوا يبخرون في وسط الدار حيث كان كل أعضاء العائلة يطوفون كل سبعة مرات وذلك لإبعاد الأمراض. [4]

1- عبد الرزاق، ابن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، د ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص 84.

2- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 295.

3- فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 211.

4- نفسه ،ص 211.

وقد اتخذ بعض الأهالي سبيلا آخر للدفاع عن أنفسهم وهذا بوسائلهم الخاصة فسكان المدن كانوا يكتفون بالبقاء في منازلهم وهذا فترات ظهور الوباء عكس سكان الأرياف الذي فضلوا الهروب إلى المناطق التي لم تعرف الوباء وهذا قصد حماية أنفسهم. [1]

أما بالنسبة للالتهابات الرئوية كالسل كانت طريقته الخاصة في المعالجة تتمثل في استعمال أغصان الدفلى كبخور. [2]

وفيما يخص علاج الكوليرا فكان يرغم على المصابين مغادرة السهول والالتحاق بقمم الجبال حيث الهواء الصافي بالإضافة إلى المصابين بالتيفوس كان لا يسمح لهم بملأ المياه من العيون. [3] زد إلى هذا فقد شيعت الرقية في أوساط سكان الجزائر وذلك بقراءة القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ...".

وكانت الرقية كوسيلة لمعالجة الأمراض ولم يقتصر استخدامها على البسطاء من الناس حيث كانت شائعة لدى المجتمع بمختلف أطيافه، فقد بعث الباي حسن بن موسى إلى الداي حسين راقيا كان قد أمره ببعثه إليه ثم كتب إليه. [4]

ويصلكم صحبته الحامل الطالب الذي أمرتمونا ببعثه لرقي إنسان مريض جعل الله دواءه على يده فإن البركة تلازم أهل الدين والتقى[5]، وبالتالي كانت تعتمد طرق التداوي على الأذكار والأدعية والآيات التي يستشفى ويرقى بها الرقية الشرعية التي كان يلجأ إليها المجتمع لشفاء الأمراض. [6]

1- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 292.
2- عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص 69.
3- فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص ص 112 - 113.
4-د لندا الأرقش وآخرون: المرجع السابق، ص 183.
5- فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص ص 222 - 223.
6- نفسه ، ص 202.

كما انتهج الجزائريين سبيلا آخر لعلاج أمراضهم والتي تمثلت في زيارة المرابطين والأولياء الصالحين حيث كانوا متيقنين أن زيارة المقام تنزل عليهم البركة وتقيهم من الأمراض وتشفيهم من الأوبئة، كما كان يتم اختيار الوالي المرابط لنفوذه وقدرته على علاج المريض فكانت طريقة علاجه تتم عن طريق أكل مقدار من تراب المبلل أو البخور بأعشاب يعطيها الولي الصالح وهذا الأخير يكون على يقين من شفاءه.

نضيف إلى هذا فقد أورد بوحجرة عثمان بقوله أن هالي وسكان تلمسان الذي عانوا من داء العيون كانوا يزورون "سيدي محمد بن يعقوب" ويأكلون من شجرة الزيتون وهذا لاعتقادهم الجازم بالشفاء[1]، ويؤيد أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي (ج 2) أن ما ذهب إليه الباحثين الذين سبق ذكرهم حيث يؤكد أن التداوي بالأعشاب هو السبيل الأمثل لمعالجة مختلف الأمراض بالإضافة إلى زيارة الأولياء والأضرحة فعلى سبيل المثال يذكر أنهم كانوا يعلقون التمائم الحرز التي عدها لهم الطلبة أملا في الشفاء من الأمراض كما يذكر أن علاج الحمى كان يتم باستخدام نبات الشذوقة وغيرها. [2]

1-2- الحمامات المعدنية:

تعتبر الحمامات المدنية مؤسسات دينية واجتماعية وصحية [3] ونجد أن المجتمع الجزائري أصبح يلجأ إليها لمعالجة الكثير من الأمراض المستعصية[4] كما أن العلاج بمياه الحمامات الطبيعية قد أثبت نجاعته حيث كان بعض بعض الناس يزورون هذه المحطات التي كانت مراكز لعلاج حقيقية، وقد أثبتت بعض الدراسات الدور الذي لعبته

1- عثمان بوحجرة: المرجع السابق، ص ص 71- 72.

2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص ص 418 - 419.

3- محمد الزين، المرجع السابق، ص 133.

4- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، (1830-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 14.

بعض الحمامات المدنية لعلاج أمراض متعددة وقد أقبل عليها السكان أثناء العهد العثماني، حيث كانوا يترددون عليها لإيجاد الشفاء، فكانوا يلجئون لمواجهة بعض الأمراض والأوبئة إلى المياه المعدنية الغنية بالكبريت. [1]

ويؤكد لنا أبو العيد دودو عن الدور الذي لعبته الحمامات آنذاك في كتابه (الجزائر في مؤلفة الرحالين الألمان) ويروي لنا طرق العلاج بالحمامات. [2]

وقد استعملت هذه المياه لمعالجة أمراض الحصبة وغيرها وتجدر الإشارة إلى عدم صيانة وترميم هذه الحمامات أثناء الفترة العثمانية إلا أن هذا الأمر لم يمنع المرضى من قصد هذه الأماكن إذ كانوا يدركون منافع مياهها على صحتهم نظرا لاحتوائها على الملح والكبريت ومعادن أخرى فالإضافة إلى الاستحمام في تلك المياه فكانوا يشعلون الشموع ويضفون طابعا مقدسا لتلك الحمامات، حيث كان المرابط أو الطالب هو الذي ينصح المريض بالاستحمام في تلك المياه لعلاج مرض الجدري وغيرها.

ومن أهم الحمامات نذكر ما يلي:

- حمام بوحجار على بعد 21 كلم من عين تيموشنت.

- حمام بوحنيفية الواقع على بعد 30 كلم من معسكر، درجة مياه هذا الحمام تتراوح ما بين 40 - 60 درجة. [3]

- حمام ريغة الواقع على بعد 100 كلم من مدينة الجزائر حرارة مياهه تتراوح ما بين 42 - 50 درجة ويعد من أشهر الحمامات.

1- فلة موساوي القشاعي: الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، (1518-1871م)، منشورات ابن سنان، وزارة الثقافةن الجزائر، ص ص 293 - 294.

2- أبو العيد دودو: المرجع السابق، ص 14.

3- فلة موساوي القشاعي: الواقع الصحي والسكان، المرجع السابق، ص ص 295 - 294.

- حمام المسخوطين على قرب 18 كلم من قالمة مياهه تصل إلى 95 درجة وهي صالحة لشفاء العديد من الأمراض. [1]

وفي الأخير يمكننا القول أن بعض السكان كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر الذي كان مسيطر بشكل خاص عليهم ولا يلجئون إلى التداوي للحفاظ على صحتهم. [2]

1-3- التعاون الشعبي لمعالجة الأمراض:

تيمز سكان إيالة الجزائر بالتعاون فيما بينهم للتغلب على الظروف المعاشة، والتخفيف من حدة الأمراض والأوبئة والمجاعة التي شهدتها الجزائر خاصة في أواخر العهد العثماني.

وهذا ما أكده العربي زبيري في كتابه التجارة الخارجية للشرق الجزائري بقوله "عندما أصابت الجزائر مجاعة التي أضرت بسكان بلد قسنطينة، ودام الحال ثلاث سنوات متوالية الأمر الذي حتم على السكان فتح مطامرهم وتوزيع ما كانوا قد خزنوه من حبوب على إخوانهم الضعفاء الذين أشرفوا على الهلاك. [3]

كما أن سكان الجزائر كان لهم وعي صحي فكلما قدم ركب من الحجيج ويع فيه أنه يحمل وباء يقوم أفراد المجتمع بكافة أطيافه بتحذير بعضهم البعض فلم يكن أحد يدخل إليهم ولا يخرج أحد منهم إلى الركب.

ويجدر الذكر أيضا مساهمة وإسهامات سكان مدينة الجزائر بمختلف أطيافهم وهذا بأموالهم الخاصة في تشييد مرافق عمومية ودينية كما خصصت قاعة خارج باب الوادي يلجأ إليها الفقراء وعابري السبيل لقضاء الليل وكان يشرى الخبز بمداخيل بعض الأوقاف وكان يوزع على الفقراء مرة في كل أسبوع. [4]

1- فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص ص 296 - 297.
2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، المرجع السابق، ص 417.
3- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 55.
4- أرزقي شوتيام، المرجع السابق، ص 304.

4-1 الجراحة :

1- التبرنة:

هي عبارة عن عملية جراحية يتم خلالها إزالة جزء قبو الجمجمة باستخدام مقدح يدوي أو أداة أخرى للقطع تعود لفترة ما قبل التاريخ ،استخدمت لعدة علاجات ككسور الجمجمة والتشنجات وإخراج الأرواح الشريرة من الرأس اعتقادا أنه عندما يعاني الإنسان من مرض عصبي أو روحي أو بدني أو نفسي فإن فتح ثغرة في الجمجمة يصبح أمر ذا جدوى ،وتعد هذه العملية من أقدم التقنيات الجراحية التي عرفها الإنسان وتبرز الأبحاث أن إنسان ما قبل التاريخ قد مارسها كوسيلة علاجية منذ العهد النيوليتي ثم انتشرت إلى باقي أنحاء العالم إبتداءا من قارة إفريقيا ،وقد مورست التبرنة منذ عهود تاريخية في المغرب القديم وفي الجزائر في منطقة الاوراس[1].

وتعد التبرنة من الموروث الثقافي والإجتماعي كوسيلة علاجية توارثتها الأجيال في الجزائر خاصة الأوراس منذ أكثر من ألف سنة ،واشتهر بها سكان المنطقة ومورست حتى في الماطق النائية مثل جبل شرشار .وكانت الطريقة المستخدمة من طرف السكان والتي تداولتها الأجيال خلال العهد العثماني ترتكز على العناصر الآتية:

فتح الرأس ، إحداث ثقب بعظم الرأس ،عدم إجتياز الغشاء الأم[2]. ينظر الى الملحق رقم (07) ص 74.

2- الجروح:

كانو يعالجونها بطرق مختلفة حيث يقومون بوضع الزبدة الطرية على الجرح ،كما كانو يستخدمون أوراق الصبار بعد تحميصها في الرماد لمعالجة الأورام والإلتهابات والقرحة والنقرس ،أما نبتة الماغرامان التي مازالت تستعمل إلى يومنا هذا فكانت تستعمل لمعالجة الجروح والتخفيف من آلام الحوض فكانت توضع منها كمية بعد

1- عثمان بوحجرة: المرجع السابق، ص70.

2- نفسه، ص71.

تسخينها على حوض المريض، وتحزم بحزام من الصوف أو القماش وهناك مجموعة أخرى من النباتات الطبية يحضرون منها مشروبا ساخنا يتناولة المريض[1] .

3- الكسور:

لعلاجها اتخذ عدة طرق منها الجبر أو قطع الرجل أو تكوى بالحديد الساخن .

4- التوليد:

كان من اختصاص القابلة خلال الفترة العثمانية وتكون القابلة قد ورثت المهنة من جدتها واكتسبتها بالممارسة والتجربة تعتمد عليها في مزاولت عملها ،فعندما يجيء المخاض عند المرأة الحامل تتكفل بها القابلة وتعاينها وتعاينها خاصة على وضع الجنين ،وتراقب تطور عملية الولادة ،وتقوم بقطعه من الوريد وطلائه بالكحل[2].

1-5- الأطباء الجزائريون:

تضاربت الآراء عن وجود الأطباء خلال أواخر العهد العثماني بالجزائر فهناك من يقول أن عددهم قليل وهناك بعض الحالات نفوا وجود أي طبيب في الجزائر ومن بينهم "لوجي دي تاسي" وهذا بقوله "أن العرب لا يعرفون طبيبا غير الطبيعة.

وأشار الدكتور شاو أنه لم يرى من الأطباء سوى عددا قليلا من الأطباء والحقيقة أنهم لم يكونوا بمستوى ومرتبة الأطباء الأوروبيين حيث أطلق عليهم اسم أطباء الأعشاب وعددهم محدود ومن أسباب قلة هذه الفئة هو إهمال

1- محمد الزين: المرجع السابق، ص253.

2- شوبيرغ أف، **الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال**، ط1، ابو العيد دودو، منشورات وزارة الثقافة، مديرية الفنون والاداب، الجزائر 2004، ص4.

المؤسسات التعليمية تدريس العلوم مثل الطب[1]، ومن الأطباء الجزائريين القلائل الذي امتهنوا هذا المجال نذكر من بينهم:

1- عبد الرزاق ابن حمادوش: من مواليد 1695 م بمدينة الجزائر وهو من أشهر الأطباء الجزائريين خلال العهد العثماني لأن اهتمامه البالغ كان في مجال العلوم العقلية باستثناء باقي العلوم الأخرى فابن حمادوش كان ميالا بطبعه إلى ما يسمى بالعلوم الرياضية والطبيعية فهو يعتبر طبيبا وصيدلي[2]، وكانت له إسهامات في المجال الطبي ومن مؤلفاته "كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب. [3]

2- أبو راس الناصري: من مواليد سنة 1751 م بمدينة معسكر يعتبر فقيه تناول في كتابة مسألتين طبيتين الأولى حول الطاعون والأخرى عن الجدري، توفي عن عمر يناهز 90 سنة. [4]

1- فوزية لزعم: الأطباء الأوروبيين بالجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830 م)، في مجلة الدراسات التارخيةي، دورية محكمة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، العدد 15 و 16، 2012-2013، ص ص 162 - 163.

2- ابن حمادوش الجزائري: المصدر السابق، ص ص 9 - 10.

3- دلندا الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص ص183.

4- مصطفى خياطي: ، منشورات ANEP، 2013 م، ص 127.

1-الجهود المبذولة

كان للأمراض والأوبئة التي شهدتها الجزائر خاصة في أواخر العهد العثماني تأثير واضح على المجتمع الجزائري وهذا يتطلب منا معرفة الإجراءات المتخذة من طرف السلطة الحاكمة بالجزائر للحد من انتشارها مع العلم أن هذه الإسهامات لم تقتصر على الحكومة لوحدها بل كانت هناك جهود مبذولة أيضا من طرف السكان اتجاه الأزمة الصحية التي كانت تشهدها الإيالة في الفترة المدروسة (1770-1830م) وهذا ما سنراه في فصلنا هذا إلى الحديث عن أهم الإجراءات المتخذة سواء من طرف السلطة أو من طرف السكان.

1- **2- نظام الحجر الصحي:** كان على رأس السياسات المنتهجة للتقليل من خطورة الأمراض والأوبئة وعرف هذا الحجر أيضا بالكرتينة[1] كان هذا النظام مطبقا في كل من الإيالات المغاربية كتونس وطرابلس وبعض الدول الأوروبية[2]، ومن الأمثلة الموضحة لتبني الدايات هذا النظام أو تطبيقه على الأشخاص حاملي المرض ولم يستثني نظام الحجر أي فئة بل كان يطبق بصفة عامة على جميع الوافدين من المسافرين والحجاج خاصة. [3]

يذكر ابن حمادوش في كتابه رحالة ابن حمادوش "الجزائري المسماة لسان المقال" أنه تم تطبيق حجر صحي على مركب الحجاج الآتي من الإسكندرية كانت حاملة للوباء فمنعهم الباشا من الدخول وهذا حمية، من أن يقوم ممرض على مصح وأذن لهم بالدخول بعد التحقق من سلامتهم من هذا الوباء وهذا الإجراء الذي قام به الباشا (داي الجزائر) السابق الذكر وأصبح معظم الدايات من بعده يتبعون هذه السياسات. [4]

طبقت الجزائر هذا الإجراء مع كل السفن القادمة إلى الجزائر على سبيل العادة. [5]

1- محمد الزين ،المرجع السابق ،ص 112.
2.- حمدان خوجة ،اتحاف المنصفين ، المصدر السابق ،ص ص 118 119
3- عثمان بوحجرة ،المرجع السابق ،79.
4- عبد الرزاق ابن حمادوش ،المصدر السابق .،ص 121.
5- أحمد الشريف الزهار ،المصدر السابق ،151.

وهذا ما أكده أحمد الشريف الزهار في كتابه مذكراته وكانت العادة أنهم إذا وصولوا السفينة القرصان فإن قبطانهم يتكلم معه من ناحية المركب إذا كانت "الكرنتينة"، أما إن لم تكن فإنهم يصعدون إليه مباشرة ويتسلم القرصان بما جاء به ومن أين أتى فيذهب للأمير ويخبره بأخبار القرصان .[1]

صالح باي انتهج الإجراء "الكرنتينه" بعدما صارت قسنطينة ملتقى القوافل التجارية الكبرى القادمة من طرابلس وتونس وبسكرة والمغرب الأقصى، وقام بإصلاح الموانئ كميناء عنابة والقالة وغيرها التي تأتي إليها السفن والمراكب التجارية الأوروبية كفرنسا وإيطاليا ما أدى إلى ازدهار الحركة التجارية الواسعة التي تميزت بما قسنطينة.

وهذا ما جعل صالح باي "باي قسنطينة" يقوم بفرض حزام صحي عام 1787 حول مدينة عنابة وهذا ليمنع انتقال العدوى إلى مقاطعة قسنطينة.[2]

كانت الأماكن التي يطبق فيها نظام الحجر الصحي تستقبل جميع السفن بطاقمها وركابها والبضائع التي تحملها وأشارت فلة موساوي أن المسؤولين الأتراك والمواطنون الأثرياء كانوا يقيمون بهذه المرافق أي مرافق الحجر الصحي والسلطة الحاكمة قامت بفرض رقابة صارمة على المناطق المدية لعزلها عن باقي الجهات.[3]

2-2 جلب الدايات الأطباء ومن أوروبا للاعتناء بصحتهم

إن موقف حكام إيالة الجزائر العثمانية من الأمراض والأوبئة تراوح بين الإهمال واللامبالاة بحيث أنهم سعوا لجلب الأطباء لأنفسهم وحاشيتهم[4] وفي هذا الصدد قال أبو القاسم سعد الله أننا نجد تقصير كبيرا، ويعود ذلك إلى عدم وجود سياسة واضحة لمواجهة مثل هذه الوضعيات الصحية وفي بعض الأحيان يفرون مع عائلاتهم من

1- أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ،151. ،ص 152.

2- نصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 125.

3- فلة موساوي القشاعي: الصحة والديمغرافيا في الجزائر من الفترة العثمانية إلى أوائل الاحتلال الفرنسي (1515-1871 م)، كلية العلوم الاجتماعية والصحة، جامعة وهران، 1 أفريل 2017، الموقع:-http://www.oran.aps.dz/spip.php.article-225737page imprimersid. التوقيت: 15:04.

4- فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 186.

الوباء إلى مناطق معزولة عن السكان، ولا يعودون إلا بعد اختفائه مثل ما فعل عثمان باي وهران سنة 1794.[1]

ويقول أيضا كان الباشوات والبايات يجلبون الأطباء لأنفسهم ويؤمنون بقيمة الطبيب الأوروبي فكانوا لا يهتمون بصحة السكان عموما، تاركين العامة للطب التقليدي.[2]

ومن أبرز الأطباء الذين حلوا بالجزائر إما بالأسر أو الفداء نذكر منهم:

1- سيمون فيفر: هو أسير ألماني كان في خدمة وزير المالية للداي حسين واعتبر الطبيب الوحيد الأوروبي على مستوى قصر الداي بالجزائر العاصمة، وقد كان يملك معدات جراحية وأدوات أتى بها من باريس.

2- الطبيب آساتني: إيطالي كان في الجزائر العاصمة ونفي في 02 ديسمبر 1818 وهناك من يقول أنه كان في خدمة الداي وعاش بالجزائر 20 سنة إلى غاية وفاته.[3]

3- الطبيب توزال: من تولون أتى إلى الجزائر في أواخر مارس 1817 م إلى غاية شهر ديسمبر من نفس السنة.

4- الطبيب فرون سواميلوت (François Maillot): هو طبيب فرنسي يعرف باسمه إلى اليوم أحد مستشفيات مدينة الجزائر، ويعود له الفضل في علاج حمى المستنقعات Le paludisme التي عرفتها الجزائر، خاصة في بداية الاحتلال استعمل كبريت الكيندين وبفضل مجهوداته انخفضت الوفيات.[4]

5- جوزيف دوس سارتوا رينيهيو: هو أسير في الجزائر تم أسره على متن سفينة حربية من طرف الرايس حميدو سنة (1217 هـ/ 1830 م) مارس الجراحة طوال تواجده في الجزائر.

6- جوجي دزانكاري: مارس هو أيضا الجراحة في إيالة الجزائر وهو أيضا أسير تم أسره من طرف علي الرايس على متن سفينة شراعية حربية في 27 أفريل 1797 م.[5]

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830 م، المرجع السابق، ج 2، ص 431.

2- نفسه ،ص 186.

3- مصطفى خياطي: الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، المرجع السابق ، ص ص 111 - 115.

4- دلندا الأقرش وآخرون: المرجع السابق، ص 180.

5- مصطفى خياطي: المرجع السابق، ص 111.

7- باسكال غامزو (Pascal gamisot): طبيب إيطالي كان في خدمة الباي صالح باي باي قسنطينة (1185هـ/1771م)، اشتراه أحد الرياس بألف مجبوب[1] سنة 1780م وهي تعادل حوالي 4000 فرنك.

وكان هذا الأخير على متن مركب بحري حربي بابوليتاني عندما وقع أسير في شوال 1777 م، ضمن أسرى الحاج محمد الإسلامي رايس.[2]

8- أندري هيل: يقال عنه أنه حل بالجزائر أواخر القرن 18 م، ولم يمنعه الأسر من التطبيب وتقديم العلاج، وهو من الأسرى الذين مارسوا وزاولوا مهنتهم بالرغم من الأسر وتمكنوا من جمع أموال طائلة مكنتهم من فداء أنفسهم، ويرجع الفضل في نيل حريته لعلاجه ابن تاجر يهودي غني أعطاه أموالا طائلة لقاء علاجه.

9- جون فيرناندير دولاس هيراس: من أصل إسباني استدعي في فيفري عام 1818 لعلاج الداي علي خوجة الذي مات بالطاعون في 01 مارس من نفس السنة.

10- الطبيب دولفينو: طبيب المستشفى للكال قرب عنا توفي سنة 1818 م بمضر الوباء.

11- الطبيب حواز دومينقو: كان في الجزائر العاصمة في فيفري 1818 م، ووجد الوباء انتشر وأصاب سكان الجزائر، ورغم احتكاكه بهم إلا أنه لم يمرض ولم يأخذ أي حذ وهذا طبعا لأجلهم.[3]

12- الطبيب مياردي: هو من أصول شمالي إيطاليا ويعتبر من مشاهير الأطباء الإيطاليين بالجزائر جاءها سنة 1826 م، واشتغل بقنصلية سردينيا، كما عمل في إحدى المصحات وكان يقوم بأعمال خيرية ويعاين المرضى بالمجان.[4]

13- الطبيب جان جي: يتعتبر الطبيب جازجي من أشهر الأطباء الذين جاءوا إلى الجزائر وكان هذا الطبيب في خدمة صالح باي، حيث رافقه سنة 1788 م للجزائر بحيث يعتبر من الأطباء المسيحيين الأحرار خدم الباي 9

1- عملة ذهبية كانت متداولة بالجزائر خلال العهد العثماني، سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي الجزائري، المرجع السابق، ص 323.
2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 2، ص 424.
3- مصطفى خياطي: المصدر السابق، ص 116.
4- عثمان بوحجرة: المرجع السابق، ص 32.

سنوات وجنى مبالغ مالية طائلة كان يتمتع بمكانة خاصة عند الداي محمد عثمان باشا (1766-1791م)، حصل الأطباء الأوروبيين الذين حلوا بالجزائر على الاحترام والتقدير من السلطة الحاكمة والأهالي.

كما كان هناك بعض الأطباء العثمانيين المشهورين والذين أتوا من تركيا ومصر وكانت مهمتهم تقتصر في معالجة الجيش الإنكشاري، اشتغلوا بالجزائر العاصمة ووهران. [1]

2-3 أماكن العلاج والصيدليات:

لم يعطي الدايات أي اهتمام لبناء المستشفيات ولا حتى المراكز الصحية [2]، وانحصرت بعض المراكز في عدد قليل جدا من المصحات وملاجئ العجزة كمصحة الهواء وملجأ الأمراض العقلية المخصصة للأتراك بالإضافة إلى مارستانات رجال الدين المسيحيين التي كان تنفق عليها الدول الأوروبية من أهما المارستنا العام رجال الدين الإسبان الذي أقامه الأب الإسباني "سبيستان دوبون عام 1551 م لفائدة الأسرى المسيحيين، وقد أعيد تجديده عام 1612، وأصبح يتلقى إعانة سنوية من الحكومة الإسبانية بلغت في القرن 18 حوالي 10000 فرنك.

بالإضافة إلى المستشفى الذي أنشأه الراهب المعروف يقراريدو عام 1662 م داخل سجون الجنينة بالقرب من باب عزون، ومستشفى لازاريست الذي خصص لع بعض الإعانات المالية وكذلك المستشفى الفرنسي بالقرب من القالة الذي تشرف عليه الوكالة التجارية الفرنسية. [3]

وهناك مستشفى في غاية الأهمية أسسه "جون دوتريش" بالأموال التي بعثت إليه من طرف الأمير لافتدائه بحيث كان أسيرا في الجزائر عام 1575 م، وقد حمل هذا المستشفى اسم ديسبان (D'E Spagne)كان تحت حماية القنصل الفرنسي[4] يقال أن هذه المستشفيات كانت تغلق أحيانا لتوتر بالعلاقات لإيالة الجزائر مع الدول

1- مصطفى خياطي: المصدر السابق، ص 116.

2- عبد القادر حليمي: النباتات الطبية، وزارة الفلاحة والصيد البحري، تقرير يوليو، 1977، الجزائر.

3- نصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 125.

4 - La Marque، recherche historique par la médecine dans la régence d'Alger, in, Baconnier, 1951, P 136.

الأوروبية التي تشرف على هاته المؤسسات مثل مستشفى الإزاريست عام 1793 م الذي تم غلقه وطرد البعثة منه إلا أن تدخل نابليون بونابرت عام 1806م. (1)

كما أسست مستشفيات أخرى خلال القرن 18 والتي كانت تحت إشراف المنظمات الدينية المسيحية، أما فيما يخص الحديث عن الصيدليات فقيل تكاد منعدمة إذ لم يرد سوى ذكر صيدلية واحدة بمدينة الجزائر والتي كانت تحتوي على مجموعة من القنابي والكؤوس المحتوية على العقاقير والتوابل كما يشرف على هذه الباش جراح الذي يشغل وظيفة الصيدلي والجارح، هذا فضلا عن بعض الحوانيت التي كانت تبيع أنواعا من الأدوية المستخرجة في معظمها من النباتات وأهمها: العشبة والقرنفل والحلبة. (2)

2-4 تطهير قنوات المياه وتنظيف المدن:

تعتب قنوات تطهير المياه من أهم الوسائل الوقائية ضد الأمراض خاصة تلك التي تعرف بالأمراض المتنقلة عبر المياه ويشير نصر الدين سعيدوني أن الحكام العثمانيين في الجزائر يعود لهم الفضل الكبير في تنظيم قنوات المياه وتسخيرها في استغلال الزراعة وتلبية حاجيات السكان فحرص العديد من الدايات بالقيام بالأعمال الخيرية في مجال المنشآت العمرانية مثل الآبار والعيون والسواقي والأحواض والصهاريج والقنوات المشكلة للشبكة المائية وقد كانت هذه القنوات محل الاهتمام والتي أحدثوا لمراقبتها وصيانتها جهازا إداريا أوكلوا الإشراف إليه إلى أمين الصندوق، أو خوجة العيون ووضعوا تحت تصرفه مجموعة من الموظفين من الكتاب والشواش وهذا نظرا لأهميتها البالغة ودورها في الوقاية الصحية. (3)

كما عملت السلطة الحاكمة بالاهتمام بنظافة المدينة والتي كان لها دور هام في الوقاية وكانت هناك هيئة خاصة يشرف عليها قائد عمال النظافة مهمتهم جمع النفايات وهذا ما أكده أحد العلماء وهو "لاكوندامين"

1 - Abid Larbi, La pratique médicale en Algérie, Editions ANEP, 2008, P 95.

2- عائشة غطاس ،**الوضع الصحي** ، المرجع السابق ،ص 128.

3- بوحجرة عثمان: المرجع السابق، ص ص 65 - 66.

(عالم الرياضيات) يقول أن في الجزائر نظافة لا نجد قمامات الأوساخ مثل ما نراه في تولون إلا أنه هناك بعض الشهادات عن مدينة الجزائر التي تقول أنه كان بها شوارع قذرة وضيقة بعضها لا يتسع حتى لاثنين من المارة وهذا للمرور بسهولة وفي الشوارع الأكثر اتساعا كان الرجل يزاحم الجمال والحمير وكثرة الفئران وكانت رائحة روائح الأوساخ والنفايات.

ومن الإجراءات التي كان معمولا بها ذكرها فونتير دوبارادي وهي منع دخول أي جثة للدفن مات صاحبها خارج المدينة، وإذا مات رايس في البحر أو في المرسى خارج الأسوار فإن جثته تنقل للمقبرة عن طريق البحر وهذا تجنبا لانتقال العدوى[1].

وهذا دليل قاطع على أن السلطة العثمانية في الجزائر لم تكن مهتمة كثيرا بشؤون سكان الإيالة.

ويشير الباحثين إلى بعض المجهودات الأخرى المبذولة من طرف السلطة كاهتمامها بنظافة المدينة، وتطهير قنوات الصرف الصحي والصهاريج والقنوات المائية للتخفيف من حدة هذه الأمراض.

1- بوحجرة عثمان: المرجع السابق، ص ص 65 - 66.

نستنتج من خلال عرضنا للفصل الثالث:

أن الجهود الشعبية هي الطاغية أثناء العهد العثماني قد اتبع السكان طرق العلاج التقليدية معتمدين في ذلك على الأعشاب الموجودة في الطبيعة للتخفيف من حدة الأمراض والأوبئة التي فتكت بالمجتمع الجزائري.

ووجدنا بالجزائر العثمانية بعض من الذين امتهنوا مهنة الطب التقليدي من أبرزهم حمادوش، وأبو راس الناصري بالإضافة إلى تعاون أفراد المجتمع الجزائري فيما بينهم للخروج من هذه الأزمة الصحية.

وأشار بعض المؤرخين إلى أن التفكير الخرافي هو المسيطر على أذهان الكثير من سكان إيالة الجزائر، كالأضرحة والرباطات قصد الشفاء، كما لعبت الحمامات المعدنية دورا هاما في شفاء العديد من السكان المرضى.

وفي ظل هذه الأزمة كما ذكرنا آنفا اتخذت السلطة العثمانية الحاكمة بالجزائر بعض الإجراءات الوقائية والعلاجية لتجاوز هذا الوضع الصحي المتردي كتطبيق الحجر أو الكرنتينة ، على الكثير من السفن الآنية إلى الجزائر والتي كانت تنقل الحجاج والتجار.

كما جلب بعض الدايات الأطباء من أوروبا للاعتناء بصحتهم الخاصة، كالداي حسين الذي أتى بالطبيب سيمون بفيفي.

ولم يهتم دايات الجزائر ببناء المستشفيات لعلاج السكان بل اكتفوا فقط ببناء بعض المصحات كمصحة زنقة الهواء المخصصة للأتراك.

خاتمة

خاتمة:

عالجنا موضوع الأمراض و الأوبئة في الجزائر في وأخر العهد العثماني في مدة نصف قرن من الزمن في ثلاثة فصول تضمنت في العموم البيئة التي تعششت فيها هذه الأمراض و أنواعها و انعكاساتها على الاقتصاد و المجتمع و آليات السلطة في مكافحة هذه الأمراض و أسقطنا في هذه المعالجة المنهج التاريخي السالف الذكر حيث توصلنا بذلك إلى مجموعة من الاستنتاجات لتكون بمثابة إجابات لتلك الاستفهامات المطروحة في بداية بحثنا و هي كالتالي :

1- شهدت الجزائر أواخر العهد العثماني عدة اضطرابات داخلية وخارجية كان لها التأثير السلبي على المجتمع الجزائري تمثلت في الاغتيالات والتمردات الداخلية وسوء علاقتها مع الدول المغاربي خاصة تونس والمغرب والدول الأوروبية كفرنسا.

أما فيما يخص الجانب الاقتصادي لاحظنا أنه شهد تطورا ملحوظا لولا السياسة الجبائية الضريبية التي أدت إلى انصراف الفلاحين عن النشاط الزراعي، أما الصناعة لم تكن مزدهرة ارتكزت على الحرف اليدوية فقط بالنسيج وذلك بسبب عدم اهتمام السلطة الحاكمة بهذا الجانب.

2- أثبتت الدراسات أن سكان الجزائر أواخر العهد العثماني تراوح ما بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف، وقسم سكان الجزائر إلى قسمين سكان الريف وسكان المدن، فكان أغلب السكان يتمركزون في الريف تميزوا بلباسهم وعاداتهم وتقاليدهم.

3- أما فيما يخص الجانب الثقافي فقد اقتصر على المعارف الدينية وطغى التصوف على الحياة الثقافية وظهرت عدة طرق صوفية بالجزائر وانتشرت الخرافات والبدع والدروشة، وكانت هناك محاولات ضعيفة في المجال العلمي كالطب مثلا نجد عبد الرزاق ابن حمادوش الذي حاول التجريب ومعالجة بعض الأمراض مثل الحمى، لكن الركود

لم يمنع من انتشار العلم في الجزائر العثمانية وساهمت المراكز العلمية في ذلك كالزوايا والمساجد والمكتبات والمدارس.

4- عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني عدة أمراض وأوبئة انعكست على المجتمع الجزائري والوضع الاقتصادي، ومن هذه الأمراض والأوبئة نذكر منها: مرض الجدري والحصبة والتيفوس، الأوبئة: وباء 1783 الذي ألحق أضرارا عديدة، وباء 1887 م، أهلك حوالي 16721 شخص.

ومن أسباب انتقال هذه الأمراض والأوبئة:

- افتقار السكان لقواعد صحية أثناء انتشار هذه الأمراض والأوبئة.

- عدم الاهتمام بالنظافة ومحاربة الأوساخ.

- انتقال هذه الأمراض عن طريق الحجاج أو الطلبة أو التجار.

- أدت هذه الأمراض إلى نقص اليد العاملة في مختلف القطاعات خاصة القطاع الزراعي، كما هرب السكان للمناطق البعيدة تجنبا لمرض الطاعون.

5- لجوء السكان إلى التداوي بالأعشاب للتخفيف من حدة هذه الأمراض ومنع انتقالها، كما عرف المجتمع الجزائري البعض الذين امتهنوا مهنة الطب الشعبي التقليدي مثل: أبو راس الناصري، ابن حمادوش.

6- لجوء بعض الحكام إلى تطبيق ما يسمى بالحجر الصحي أو الكرنتينة على الكثير من السفة الآتية إلى الجزائر والتي كانت تنقل الطلبة والحجاج والتجار.

7- أهم المجهودات التي قامت بها السلطة الحاكمة هي جلب الدايات الأطباء من أوروبا للعناية بصحتهم الخاصة.

واهتم بعض الحكام بتطهير قنوات المياه والصرف الصحي والحفاظ على نظافة المدينة.

الملاحق

الملحق رقم (01): الصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، للطبيب عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري.

المرجع: علامة صليحة المرجع السابق، ص613.

الملحق رقم (02): مخطوط لبربروجر حول الطعون في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

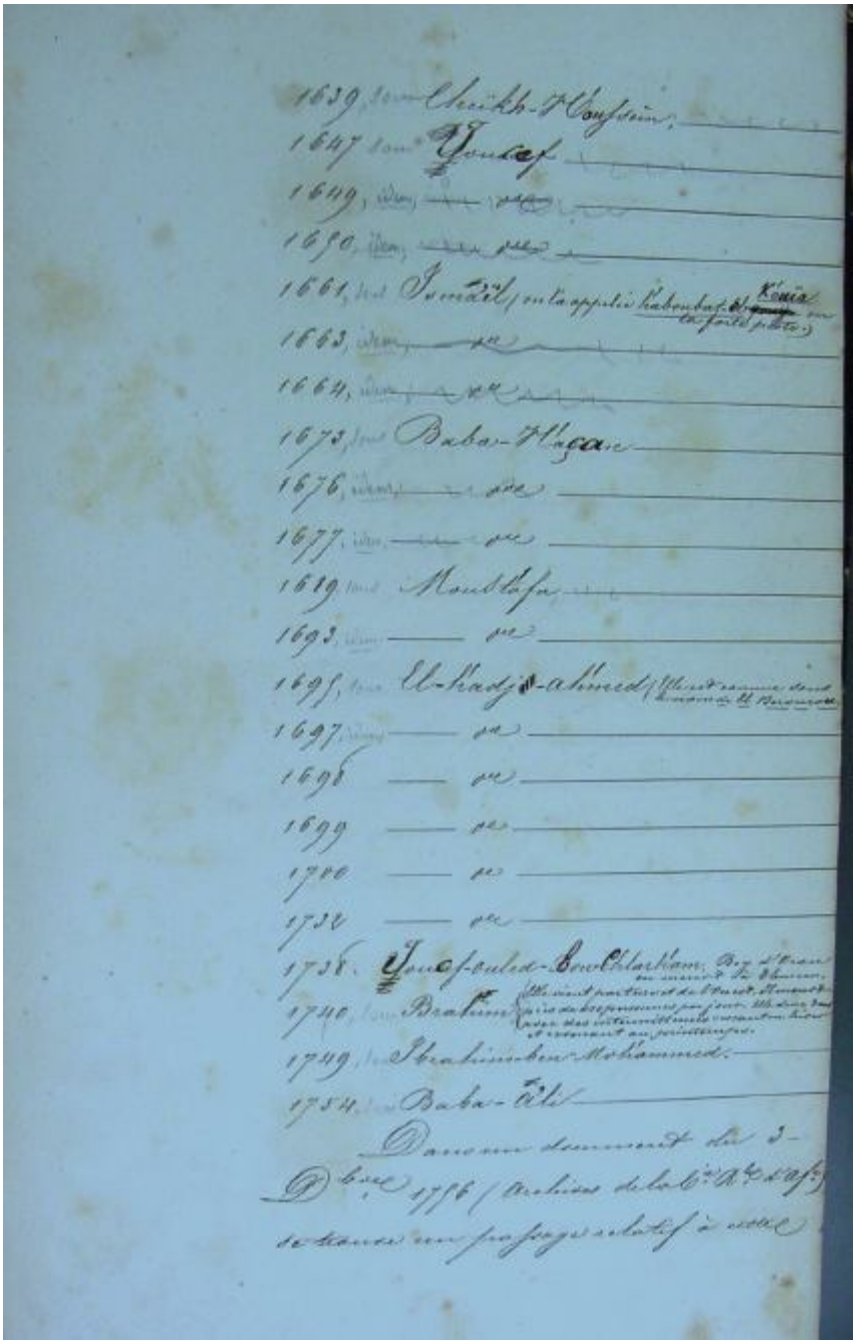

المرجع: علامة صليحة المرجع السابق، ص617.

الملحق رقم03: الوفيات وضحايا الأوبئة عبر مناطق عدة بالجزائر

اسم البلدة	عدد السكان	عدد الموتى	النسبة المئوية
جيجل	200	600	% 30
بسكرة	3000	450	% 15
سيدي خالد	35	28	% 80
أولاد جلال	1500	180	% 12
طولقة	700	150	% 12.4
بوشقرون	200	30	% 15
الزعاطشة	200	25	% 12.5

الملحق رقم (04): عدد الوفيات الناجمة عن وباء 1817 إلى 1822 م بمدينة الجزائر

السنة	عدد الوفيات
1817	**6695**
1818	**6844**
1819	**2927**
1820	**41**
1821	**721**
1822	**2262**

عائشة الغطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 64.

الملحق رقم (05): منحنى الوفيات من 1817 إلى 1822 م

الملحق رقم06: أدوات الجراحة المستخدمة من طرف الجراحين الجزائريين

RETRACTORS, SCRAPERS, AND DRILLS

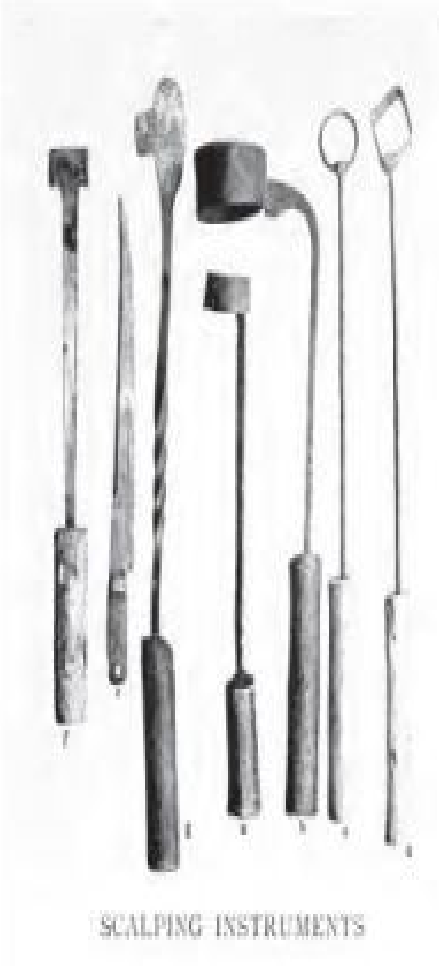

SCALPING INSTRUMENTS

المرجع: عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص101

الملحق رقم (07): جمجمة خضع صاحبها لعملية التربنة، اكتشفت من طرف الدكتور مالبو بالأوراس سنة 1887م.

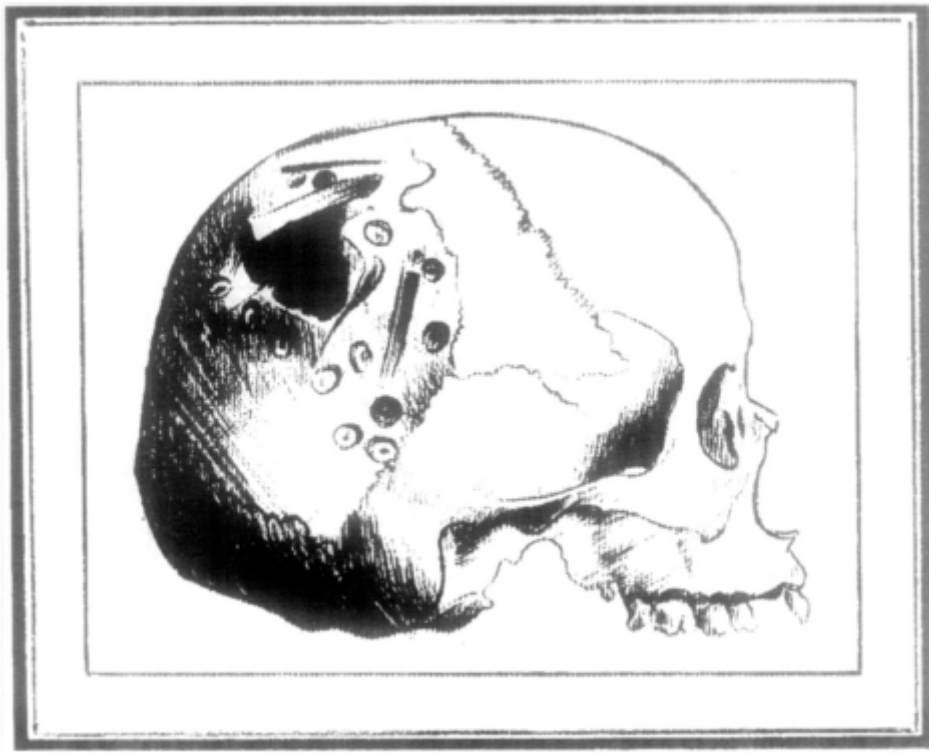

المرجع: عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص102.

الملحق رقم (08): أطباء من الأوراس أواخر من القرن 19م.

PLATE I

a

GENERAL PRACTITIONERS OF THE AURES

b

المرجع: عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص100.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة البيبليوغرافيا

أولا:المصادر:

1-أحمد باي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوظربة تق وتر محمد العربي الزبيدي، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر، 1982.

2-ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، ط1، دار ابن الجوزي القاهرة، 2009.

3-ابن حمادوش عبد الرزاق، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقد وتح ابو القاسم سعد الله ، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.

4-عبد القادر، مسلم الوهراني،خاتمة أنيس الغريب والمسافر ، رابح بونار ، دط، سلسلة ذخائر المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

5-التمقروتي، النفحة المسكيتة في السفارة التركية، طبعة الحجرية .

6-خوجة عثمان بن حمدان، اتحاف المنصفيين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، سلسلة ذخائر المغرب العربي، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1968.

7-ـــــــــــــــ: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

8-المزاري الأغا بن عودة طلوع سعد السعود، في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن19م، تح يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الاسلامي، 1990م.

9-الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني تح وتق المهدي بو عبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع،المحمدية، الجزائر،2013 .

10-الزهار أحمد الشريف، المذكرات ، تح: أحمد توفيق المدني ، ش وت، الجزائر ط2 ، 1974.

11- العتري محمد الصالح ، سنين القحط والمصغبة ببلدة قسنطينة منشور تحت عنوان مجاعة قسنطينة،

تحقيق وتقديم رايح بونار ، الجزائر سلسلة ذخائر المغرب العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974 وطرابلس 1145 هجري . 1732 م

12- هاتيسترايت ج ، او ، رحلة العالم الألماني ج ، أو هاتيسترايت الى الجزائر وتونس

وطرابلس(1145هـ ، 1732 م) ترجمة وتعليق ناصر الدين سعيدوني ، دار الغرب الاسلامي ، ط ، تونس.

13- شالر وليام ،مذكرات وليام شالر قنصل أمريكاني الجزائر (1816، 1824) تح و تق اسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر وتوزيع الجزائر 1982

ثانيا: المراجع:

14- أف ، سونبيرغ ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال ، ط1، ترجمة أبو العيد دود، منشورات وزارة الثقافة ، مديرية الفنون والأداب الجزائر 2004

15- بوحوش عمار التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962 ، ط1 ، دار الغرب الاسلام، بيروت 1976

16- بوعزيز يحي ، موضوعات من تاريخ الجزائر والعرب ، ج1 ، دار الهدى الجزائر 2009

17- ـــــــــ، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و 20 ميلادي دار الثقافة ، العدد 63 ، 1981 .

18- الزبيري محمد العربي،التجارة الخارجية للشرق الجزائري،ط،ش و ن ت الجزائر،د ت .

19-المبارك الميلي،تاريخ الجزائر في القديم الحديث ج3 ،مدينة النهضة الجزائرية 1964 .

20-هلايلي حنيفي بنية الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني ط1 ،دار الهدي ،عين مليلة ،الجزائر1428هـ،2007م.

21-سبنسر وليام ،الجزائر في عهد رياس البحر،ترجمة عبد القادر زيايدية ش،و،ن،ت الجزائر1980.

22-سعد الله أبو القاسم،أبحاث وآراء تاريخ الجزائر القسم الاول،ط2 ،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع الجزائر1981م.

23-ـــــــــــــ، تاريخ الجزائر الثقافي1500 -1830 ،ط1،دار الغرب الاسلامي بيروت1998، ج2.

24- ـــــــــــــ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج9،ط1،الفهارس العامة،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان1998م.

25-سعيدوني نصر الدين،دراسات وأبحاث تاريخ الجزائر الفترة الحديثة المعاصرة،ط1،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1988م، ج2.

26- ـــــــــــــ، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية1800-1930م،ش،و ن ت الجزائر 1979م.

27- ـــــــــــــ، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائر من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية،ط2،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،2008.

28- ـــــــــــــ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولاية المغرب العثمانية (الجزائر،تونس،طرابلي الغرب)القرن 10هـ،14، 16، 19،قسم التاريخ،كلية الأدب،جامعة الكويت،حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية الحولية31-1431هـ/2010م.

29- ـــــــــــــ، والمهدي بوعبد لي،الجزائر في التاريخ(العهد العثماني) المؤسسة الوطنية للكتاب،وزارة الثقافة والسياحة1984م.

30-مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني،العملة الأسعار المداخيل، ج1،دار القصبة للنشر ،الجزائر2009م.

31-شريط عبد الله والمللي محمد،الجزائر في مرآة التاريخ ،مكتبة البعث،قسنطينة،1929م

32-عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830)ط2، دار الالمعية للنشر و التوزيع،2012م

33-عبد القادر نور الدين،صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من اقدم عصورها الئ انتهاء العصر التركي ،مطبعة البعث،قسنطينة ،1965

34-جون وولف، الجزائر واروبا1500 -1830-ترجمة وتعليق ابو القاسم سعد الله، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

ثالثا المصادر و المراجع باللغات الاجنبية:

35-Ibid larbi، la pratique midicale en algérie،edition ANEP20080

36-Diego dehaedo ،topographie et histoire gènèrale d àlger r a h 15annèe

1871.

37- E ،Mersiol la niegence Alger une par un allemand au XVI II siecle ;

Pub –S histoire Algereinne 1930

38- Devoulx Albert ، Tachrifat Alger، imprimerie de gouvernement 1852

39- La marque L . recherches historique sur la médecine dans la régence

Alger imp Baconnér 1951

40- Shaw thomas، vouyage dans la régence d'alger، traduit de l'anglais j

Mac ، carthy 2éme éd ، tunid1980

رابعا: الرسائل الجامعية باللغة العربية

41- بوحجرة عثمان ، الطب و المجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث جامعة وهران ،2015م.

42- بن عمار مصطفى ،الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671-1830) مذكرة ماجستير الجزائر 2، 2009- 2010م.

43- الزين محمد ، الاوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية (1518-1830) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر غير منشورة ،جامعة الجيلالي أليايس ، سيدي بلعباس(2010 -2011)

44- شدري معمر رشيدة ، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر رسالة ماجستير فيالتاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجززائر ،(2005-2006).

45- القشاعي فلة الموساوي ، الصحة والسكان في الجزائر أواخر العهد العثماني.

46- مزدور سمية،المجاعات والاوبئة في المغرب الاوسط-(588-927هـ) (1192-1520) مذكرة ماجستير جامعة منتوري، قسنطينة 1429-1430هـ/2008 ،2009م.

47- علامة صليحة ،الاحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي 1830-1962،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان 2017م.

48- عقاد سعادالفلاحون، الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519- 1830) دار السلطان نموذجا شهادة لنيل شهادة الماجستير للتاريخ الحديث والمعاصر،جامعة وهران 2013- 2014م.

49- صغيري سفيان ،العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزاير (1671-1830م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر باتنة 2011-2012م.

50- صحراوي فتيحة ،الجزائر في عهد الداي حسين (1818-1830) مذكرة لنيل الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر 2، 2010-2011م.

51- شوتيام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعلياته في العهد العثماني (1819م-1830)رسالة مقدمة لنيل شهادة درجة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر 2005م-2006م.

خامسا المقالات باللغة العربية

52- محمد الزين: نظرة على الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية أواخر عهد الدايات مجلة البحوث 17،2012 جامعة سيدي بلعباس الجزائر .

53- حليمي عبد القادر النباتات الطبية وزارة الفلاحة والصيد البحري تقرير يوليو1997.

54- غطاس عائشة الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني مجلة الثقافية،عدد76،الجزائر1993.

55 - لزغم فوزية الأطباء الأروبيون بالجزائر خلال العهد العثماني عصور،جامعة وهران 21جويلية،دسمبر2013.

الفهرس

الموضوع.....الصفحة

مقدمة ..... أ

مدخل: الوضع السياسي الداخلي والإقليمي المحيط بالجزائر أواخر العهد العثماني..... 5

1الوضع السياسي الداخلي للإيالة اواخر عهد الدايات.....6

2 الوضع الاقليمي المحاط بايالة الجزائر.....8

الفصل الأول: حالة الجزائر أواخر العهد العثماني : الخصائص والدلالات 11

1-الخصائص الاجتماعية 12

2- الخصائص الاقتصادية 18

3- المميزات الثقافية 23

الفصل الثاني:أهم الأمراض وأنواع الأوبئة وانعكاساتها 29

1- أهم الأمراض 30

2- أنواع الأوبئة 35

3- آثارها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية 40

الفصل الثالث: آليات وطرق العلاج 48

1- ابرز العلاجات 49

2- الجهود المبذولة 59

خاتمة 68

الملاحق 71

قائمة المصادر والمراجع 77